وشوشات

تأليف

محمد رشيد العويد






وشوشات

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



مكتبة المنار الإسلامية

طباعة ونشر وتوزيع الكتب والأشرطة الإسلامية

كويت - حولي - شارع المثنى. ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي - الرمز البريدي 32045

تليفون: ٢٦١٥٠٤٥ - ٢٦٥٤٦٣٩ - فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤

وشوشات

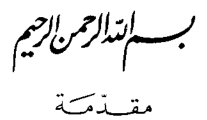
تأليف

محمد رشيد العويد



مكتبة المنار الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

جاء في لسان العرب «الوشوشة : الخفة، والوشواش: الخفيف السريع». وإني لأرجو أن تكون كلمات هذا الكتاب خفيفة سريعة. خفيفة عليكم، سريعة في الوصول إلى قلوبكم وعقولكم.

وسبب اختيار «وشوشات» عنواناً لهذا الكتاب أن الدكتور أحمد بن راشد ابن سعيد - الأستاذ في جامعات المملكة العربية السعودية، ورئيس تحرير مجلة «جودي» قد استكتبني فيها، واختار هو - جزاه الله خيراً - هذه الكلمات لتكون عنوان الصفحة التي يُنشر فيها ما أكتبه في كل عدد.

ولقد تم جمع ما نُشر في مجلة «جودي» ومجلة «النور» ومجلة «الأسرة» وغيرها، وما لم يُنشر بعد في هذا الكتاب الذي أرجو أن ينفع الله به قارئيه، وألا يحرم كاتبه من أجره الكريم سبحانه.

ولعل أكثر كلمات الكتاب مما يهتم له أفراد الأسرة من آباء وأمهات، وأبناء وبنات، في عبارة سهلة قصيرة، مبتعداً - ما وفقني الله تعالى - عن الإطالة المملة.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يُرفع، ودعاء لا يُسمع»[1].

والحمد لله رب العالمين.

محمد رشيد العويد

(١) نص حديث نبوي صحيح. أخرجه أحمد في المسند، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه الألباني.

هل أبكيتِ أمك ؟

أختي وابنتي : هل أبكيتِ أمكِ مرة؟

أغلبُ الظن أنك ستجيبين قائلة : لقد أبكيتُها مراراً وليس مرةً واحدةً فقط!

ـ هل تذكرين لماذا بكت؟

قد تقولين : بسبب كلمةٍ قاسيةٍ رددتُ بها عليها .

وقد تقولين : لأني عصيتُها في أمرٍ ولم أُطِعْها فيه .

وقد تقولين : صرختُ في وجهها بدلاً منَ أن أخفضَ جناحي لها .

وقد تقولين غير هذا وذاك وذلك، من الأسباب التي جعلت أمك تبكي حزناً وتأثراً .

أليس هذا من العقوق؟

بدلاً من أن تُضحكي أمك وتُدخلي إلى قلبها الفرح والسرور تبكينها وتُدخلين إلى قلبها الحزن والأسى؟!

ومن أجل ماذا؟

لاشك في أنها حاجة من حاجات الدنيا !

لقد أبكى صحابي أمه وأباه، ولكن ليس من أجل الدنيا، بل من أجل فريضة من أعظم الفرائض . . من أجل فريضة الجهاد! ومع هذا فقد أمره النبي ﷺ أن يرجعَ إليهما ليُضحكهما كما أبكاهما، وليجاهد فيهما، بإحسان صحبتهما .

تعالي ابنتي نقرأ وصيةَ النبي ﷺ بالوالدين :

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : استأذن رجلٌ رسول الله ﷺ في الجهاد ، فقال النبي : أحيٌّ والداك؟ قال الرجل : نعم ، قال النبي : ففيهما جاهد» (أخرجه الخمسة) .

وفي رواية لمسلم : «أبايعُك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى ، قال النبي : فهل من والديك أحد؟ قال الرجل : نعم ، بل كلاهما حيٌّ ، قال النبي : فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال الرجل : نعم ، قال النبي : فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» .

وفي رواية أخرى لأبي داود والنسائي ، أن الرجل قال : «وتركتُ أَبَوَيَّ يبكيان ، قال له النبي : فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما» .

يا ابنتي ..

إذا كنتِ قد أبكيتِ أمك فارجعي إليها فأضحكيها كما أبكيتها . . واحْرِصي من بعد اليوم ألا تُبكي أمك أبداً .

الداعية الصغير

لم يعجبها انطلاق ابنها الصغير إلىٰ المسجد لأداء الصلاة فيه جماعةً خمس مرات في اليوم، بل لم تكن راضية عن صلاته كلها.

كانت ترىٰ ـ ويا لغريب ما ترىٰ ـ أنه مازال صغيراً علىٰ الصلاة! وكأن صلاته تأخذ منه ولا تعطيه، تتعبه ولا تريحه، تضيع وقته ولا تنظمه، علىٰ الرغم من أن ابنها ذا الأعوام العشرة، كان يرد بلطف علىٰ أمه شفقتها المزعومة، مؤكداً لها أنه يشعر بسعادة غامرة في الصلاة، وأنها تبعث فيه نشاطاً غير عادي، وتنظم وقته حتىٰ صار يكتب وظائفه المدرسية جميعها ويراجع دروسه دون أن يحرم نفسه من اللعب.

ولما عجزت الأم عن صرف ابنها عن التزامه بالصلاة، التزامه الذي رأته «تعلقاً مبكراً» بها، لجأت إلىٰ أبيه تشكو إليه حال ولدهما الذي «أخذت الصلاة عقله» كما عبّرت.

حاول زوجها أن يخفف من قلقها قائلاً: لا تحملي همّه.. إنها هَبَّةٌ من هبّات الصغار.. سرعان ما يمل ويسأم ويعود إلىٰ ما كان عليه!

ومرت الأيام دون أن يتحقق ما منّىٰ أبوه به أُمَّه، فقد زاد الصغير حبّاً بصلاته، وتمسكاً بها، وحرصاً علىٰ أدائها جماعة في المسجد.

وصحت الأم صباح يوم جمعة، وثار في نفسها خاطر بأن ابنها لم يعد من

صلاة الفجر التي قُضيت قبل أكثر من نصف ساعة، فهرعت إلى غرفته قلقة فزعة، وما كادت تدخل من بابها المفتوح حتى سمعته يدعو الله بصوت خاشع باك وهو يقول: «يا رب.. يا رب.. اهدِ أمي.. اهدِ أبي.. اجعلهما يصليان.. اجعلهما يطيعانك.. حتى لا يدخلا نار جهنم».

ولم تملك الأم عينيها وهي تسمع دعاء ولدها، فانسابت الدموع على خديها.. تغسل قلبها.. وتشرح صدرها.

عادت إلى غرفتها، وأيقظت زوجها، ودعته ليسمع ما سمعت، وجاء أبوه معها ليجد ولده يواصل الدعاء.. ويقول: «يا رب وعدتنا بأن تجيب دعاءنا.. وأنا أرجوك يا رب أن تجيب دعائي.. وتهدي أبي وأمي.. فأنا أحبهما.. وهما يحباني».

لم تصبر الأم فأسرعت إلى ابنها تضمه إلى صدرها، ولحق بها أبوه، وهو يقول لولده: قد أجاب الله دعاءك يا ولدي.

ومن ساعتها حافظ والداه على الصلاة، وأصبحا ملتزمين أوامر ربهما، فكان ولدهما سبب هداية ربهما لهما.

ما أسهلها .. وما أعظم خيرها !

ما أسهل القيام بها، وما أيسر الجهد المبذول لها، وما أعظم الخير الناتج عنها!

لا تكلف مالاً، ولا تستغرق وقتاً، ولا تحتاج علماً.. لكن أثرها لا يُقدر بمال. وتأثيرها يستمر طويلاً، والعلم يشهد لها كثيراً.

ما هي ؟

إنها اللمسة الحانية من الأم لأولادها، ومن الزوج لزوجته، ومن الزوجة لزوجها.

تمسح التعب، وتنقل الحب، وتشيع الطمأنينة، وتزيل التوتر، وتساعد على الشفاء.. أليست آثاراً عظيمة لعملية سهلة، هينة، لا تكلف جهداً ولا مالاً ولا وقتاً؟

لقد برهنت الدراسات العلمية على أن الأطفال الذين ينالون قسطاً كبيراً من التدليك والتقبيل والتربيت على أجسادهم الصغيرة يشبون في صحة جسدية ونفسية أفضل.

ولقد اكتشف الدكتور تيفاني فيلد ـ من جامعة ميامي الأمريكية ـ أن التدليك اليومي يساعد الأطفال المولودين قبل اكتمال فترة الحمل على اكتساب أوزانهم ومغادرة المستشفى بسرعة.

ويذكر الدكتور فيلد أن التجارب أثبتت أن التدليك يهدّئ من الشعور بالإحباط، ويقلل من السلوكيات الضارة عند الأطفال الذين يعانون من

اضطرابات عاطفية ونفسية.

وتقول كلير ماكسويل هدسون ـ خبيرة التدليك والمدرّسة بالكلية الملكية للتمريض في لندن ـ: اللمسة الرقيقة استجابة مباشرة للاحتياجات الإنسانية وخاصة لدىٰ المرضىٰ الذين يشعرون بالارتياح عندما تربت علىٰ ظهورهم أو علىٰ أيديهم يدُ الطبيب أو الممرض.

وتضيف قائلة: إن اللمسة الإنسانية من الحاجات الطبيعية لدينا جميعاً لأنها تُهدئ من الشعور بالإحباط الذي يداهمنا من وقت إلىٰ آخر.

وتقول: إن يد الإنسان أبسط أداة يمكنها علاج ما يعانيه إنسان آخر من إجهاد أو ألم أو صداع في الرأس.

وبعد.. ماذا تنتظر عزيزي الزوج حتىٰ تمسح بكفك فوق جبين زوجتك.. وتستمر فوق شعرها حتىٰ تصل يدك إلىٰ كتفها؟

وماذا تنتظرين عزيزتي الزوجة لتقومي بتدليك ظهر زوجك المريض وكتفيه؟

وبالمسح علىٰ رؤوس أطفالكما ـ أيها الأب وأيتها الأم ـ وهم يلعبون، وهم يدرسون، وهم يبكون، وهم نائمون، وهم خائفون.

وتذكروا كيف كان نبيكم ﷺ يمسح رؤوس الصغار بكفه الشريفة:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، ويسلم علىٰ صبيانهم، ويمسح رؤوسهم» (صحيح الجامع).

أفضل الموت على ...

هذه عبارة يشير بها قائلها إلى كراهيته الشديدة لأمر ما، أو مكان ما، كراهية تصل إلى حد أنه يرى الموت أهون عليه من ذاك الشيء أو المكان.

لقد نقلت وكالة أنباء رويترز عن باحثين في أستراليا أن ٨٠٪ من النساء اللواتي هن فوق سن الـ ٧٥ عاماً يفضلن الموت على العيش في دار للمسنين بعد إصابتهن بكسر في مفصل الفخذ.

البحث أجراه غلين سالكيلد وزملاؤه من جامعة سدني، ومستشفى كورينغ جادي في نيوساوث ويلز بأستراليا وشمل ١٩٤ سيدة في سيدني.

وليس هذا في أستراليا وحدها، بل هو كذلك في معظم المجتمعات غير المسلمة التي لا يعطف أبناؤها على المسنين ولا يعاملونهم كما يعامل المسلمون آباءهم وأجدادهم.

في ألمانيا مثلاً أثار تقرير نشرته وزارة الأسرة والشبيبة والكهول في بون، حول حالة الأشخاص المسنين والكهول والعجزة الألمانيين، وتعرضهم لمعاملة سيئة من ذويهم وأقربائهم، ضجة كبيرة في أوساط المجتمع الألماني.

استند التقرير شبه الرسمي إلى استطلاع كبير أجراه معهد الأبحاث الاجتماعية والجنائية في ولاية سكسونيا السفلى بغرب ألمانيا، وشارك فيه عشرات الآلاف من الكهول والمسنين الذين أجابوا عن الأسئلة الواردة في استمارات الاستفتاء، حيث شرحوا المآسي التي يعيشون فيها بعد تقدمهم في العمر، لا من الأشخاص الأغراب عنهم، بل من أقربائهم وأولادهم وذويهم.

وأعربت وزيرة الأسرة والشبيبة والكهول الألمانية في بون كلاوديا نولته عن

أسفها للأحوال السيئة والمتدهورة التي يعيشها عدد كبير من المواطنين الألمان ممن بلغوا سن التقاعد، مشيرة إلى أن نسبة هذه الفئة من المواطنين تزداد يوماً بعد يوم بسبب تراجع معدل الوفيات في ألمانيا وازدياد معدل العمر بصورة عامة.

وأضافت أن سوء معاملة الأشخاص المسنين والكهول تتراوح بين الإيذاء الجسدي والتعذيب المادي إلى التعذيب النفسي والإهانة والإذلال.

وأشار التقرير إلى أن عدد الأشخاص المسنين والكهول الذين يتعرضون إلى معاملة سيئة من أقربائهم وذويهم يصل إلى نحو ٤٤٠ ألف شخص سنوياً، دون أن يتمكنوا من التعبير عن أوضاعهم السلبية هذه بسبب الخوف أو الخجل، ولهذا فإن معظم هذه الحوادث يظل مجهولاً.

ويذكر تقرير الوزارة الألمانية أن تهديد المسنين يبدأ بنقلهم إلى مأوى العجزة، ثم عزلهم تدريجياً وتقليص الخدمة والمساعدة إليهم قبل الوصول إلى الاعتداء عليهم ونهرهم وإذلالهم والاستيلاء على أموالهم وموجوداتهم الشخصية وحتى الامتناع عن عرضهم على الأطباء وإعطائهم الأدوية اللازمة!.

ترى كيف تكون مشاعر المسنين هؤلاء حين يعلمون بحال المسنين المسلمين الذين يلقون الرعاية الفائقة، والعناية البالغة، والبر العظيم، من أبنائهم وأحفادهم؟!.

من يتطوع من الصحفيين المسلمين المقيمين في الغرب، بإجراء استطلاعات تسجل فيها آراء أولئك المسنين ومشاعرهم فيما لو عُوملوا كما يُعامل أمثالهم من المسلمين؟!.

أجل، الحجاب جمال..
والتكشف قبح

عبارة قالتها مسلمة أوروبية يوماً: «ارتديت الحجاب فزادني جمالاً»! ولعل سائلاً يقول: كيف يزيدها الحجاب جمالاً وهو يخفي منها كل شيء؟!

ونجيب: كما تقبح المرأة التي تكشف الكثير من جسمها! وهو ما عبّرت مسلمة مجرية بقولها: «الأزياء الخليعة والعارية التي ترتديها المرأة الغربية غير المسلمة تضفي عليها قبحاً خارجياً وداخلياً»[1].

أجل.. قبح خارجي وداخلي، أما القبح الخارجي فهو أن هذه الكاسية العارية تثير بتكشفها وعريها غريزة، ولا تثير جمالاً، فإثارة الغريزة في الشارع، والسوق، ومكان العمل، أمر قبيح، لا جمال فيه ولا ذوق (والذوق جمال).

أمر قبيح لأن المتكشفة العارية تقول بتكشفها: «انظروا إلى جسدي، انظروا إلى شكلي»، إنهم لن يروا عقلها من شكلها، ولن يحيطوا بأدبها من تبرجها، ولن يدركوا أحاسيسها من خلال أصباغها التي ملأت وجهها.. فأين الجمال في هذا كله؟!.

إنها مائلة عن الصواب، مائلة عن الفطرة، مائلة عن الجمال، وفي الوقت نفسه مميلة غيرها بعريها هذا الذي تنكره - ربما - ببقايا اللباس الذي ترى أنه يكسو جسدها!.

ما أعظم وصف الحبيب المصطفى لهن، كأنه بيننا الآن ﷺ: «كاسيات

---

(١) جريدة «المسلمون»، العدد ٥٢٧.

عاريات، مائلات مُميلات».

ثم هو قبح داخلي، كما قالت هذه المسلمة المجرية التي فتح الله عليها، بهذا التعبير البليغ الموجز، فكيف يكون هذا القبح الداخلي؟

أليس قبيحاً داخل هذه التي ترتاح لنظرات الرجال الشهوانية إلى جسدها المكشوف العاري؟!.

أليس قبيحاً داخلها وهي تظهر جسدها على حساب عقلها وفكرها، وعلمها وفهمها، وإحساسها وشعورها؟!.

أليس قبيحاً وهي تثير غريزة حيوانية في داخل الرجال الذين ينظرون إليها؟

هل تحس هذه الكاسية العارية بأي قيمة من قيم الجمال داخلها وهي تصر على كشف الظاهر، والشكل، والجسد؟!

هل ثمة جمال إذا كان داخل هذا الجسد خواء؟ خواء في العقل، وخواء في النفس، وخواء في الوجدان، وخواء في الروح؟

تقول المسلمة المجرية، واسمها إيشاسلجيا (حنان بعد إسلامها): كنت أسير في الشوارع فتضايقني العيون التي تتفحصني فتؤذي مشاعري، ولذا سترت وجهي بعد أن كنت أغطي شعري فقط، وأدركت حكمة حجاب المرأة بأنه لحمايتها هي، كما قال تعالى: «فلا يؤذَيْن»[١].

سأقول مطمئناً: الحجاب جمال.. والتبرج والعري قبح.

---

(١) المصدر السابق.

دعوة لمُحَجَّبة

لاشك في حزن فتاة طردتها أمها من البيت! ويضاعف هذا الحزن قيام جارتها بفتح بيتها للفتاة. إنها متأثرة ومتألمة لكون جارتها أرفق بها من أمها.

هذا مثل لما تقوم به بلدان مسلمة بنزع حجاب المسلمات، ومنعهن من ارتدائه في المدارس والجامعات، في الوقت الذي تسمح به دول غير مسلمة، وتدافع عن حق المسلمات بارتدائه.

لقد فصلت جامعة أركنساس في الولايات المتحدة مشرفاً على إدارة المحاسبة لقيامه بسحب حجاب سيدة مسلمة، تعمل معه، لكشف شعرها.

وقد سعت الموظفة، وهي أمريكية دخلت الإسلام، إلى شرح وجوب لبس الحجاب لرئيسها، ولكنها فوجئت بها يقف خلفها ويخطف حجابها(١).

وفي كوبنهاجن ندد وزير العدل الدانمركي أوفي هيغوم برفض المتاجر الكبرى تشغيل نساء محجبات.

وقال الوزير في تصريح أدلى به إلى الشبكة الأولى للتليفزيون: إن موقف المتاجر الكبرى ينتهك القانون الذي يدين التفرقة في سوق العمل.

وأعرب رئيس لجنة المساواة بين الإثنيات القس كيلد هولم عن استنكاره لموقف المتاجر وشدَّد على أن من يطلب من مسلمة أن تخلع حجابها كمن يقطع يدها اليمنى من الناحية الروحية(٢).

---

(١) جريدة «القبس» الكويتية اليومية: ٢٣/ ٥/ ١٤٢٠هـ ـ ٣/ ٩/ ١٩٩٩م.

(٢) وكالة الصحافة الفرنسية (أ. ف. ب): ٢٦/ ٤/ ١٤٢٠هـ ـ ٨/ ٨/ ١٩٩٩م.

ألا يَحزن المسلم حين يجد بلاداً مسلمة مثل تركيا، تمنع المسلمات من ارتداء الحجاب في البرلمان والمدارس والجامعات بما تسنه من قوانين، في الوقت الذي نجد فيه قوانين في أوروبا وأمريكا تحفظ حق المسلمة في الحجاب؟!.

على أي حال فإن هذا ليس على إطلاقه، لأن أكثر بلاد المسلمين تحمي المحجبات، وتدافع عنهن، وكذلك أكثر البلدان غير المسلمة تحارب المسلمات الملتزمات بالحجاب وتمنع التلميذات المحجبات من دخول المدارس.

مهما يكن فإن هذه المسلمة الملتزمة حجابها، والملتزمة معه ما يأمرها به دينها، الثابتة الصابرة على ما تلقاه من عنت وحرب، تستحق منا دعوة لها بأن ينصرها الله تعالى، ويغفر لها ويرحمها، ويؤجرها على تمسكها والتزامها وصبرها.. خير الثواب.

علّميهم حب أبيهم

جميل منك، أختي الأم، تذكيرك زوجك بين الحين والآخر بأولادكما، وبأهمية الرفق بهم، والصبر عليهم، والتجاوز عنهم، وتجاهل بعض تقصيرهم.

حسن أن تطلبي من زوجك اصطحاب أبنائكما في نزهة إلى حديقة، أو مجمع ألعاب، أو جولة في السيارة.

لطيف أن تطلبي منه شراء جهاز حاسب آلي ليتعلم عليه الأبناء ويتدربوا.

لا بأس من أن تحثي زوجك على مسامحة ابنه الذي فقد ساعته في حوض السباحة.

مقبول منك أن تثني زوجك عن عزمه على عقاب ولدكما الذي نال درجات منخفضة في امتحاناته مع وعد منك على أن تراجعيه بنفسك.

جميل وحسن ولطيف ومقبول صدور هذا كله عنك، وغيره كثير من أجل حماية أبنائكما، والرفق بهم، وهو ما يتفق مع طبيعتك، وينسجم مع فطرتك.

ولكني أرجو ألا تنسي زوجك في الجهة المقابلة، من توصية أبنائكما به، وبطاعته، وباحترامه، وبالحرص على راحته.

أوصيهم بأن يطيعوه ويجيبوا طلباته دون تلكؤ، مع الرضا والتسليم لا مع السخط والتذمر.

وجهيهم إلى أن يتحدثوا إليه بأدب، ولا يرفعوا أصواتهم في تحاورهم معه.

ذكّريهم بأن أباهم يعمل من أجلهم، ويكد ويتعب لراحتهم، ومن ثم فهو

يستحق أن يوفروا له أجواء الراحة في البيت .

صحيحي ما يمكن أن يستقر خطأً في تصوراتهم بأن أباهم يكرههم لأنه منعهم من الخروج إلى مكان كذا ، أو مع الرفيق فلان ، أو حال بينهم وبين عملٍ أو سفرٍ أو شراءٍ لم يكن مقتنعاً به .

إذا استمرت توصيتك زوجك بأولادكما مع إهمالك توصيتك الأولاد بأبيهم . . فإن زوجك سيلحظ هذا ، ويحس به ويدركه ، ومن ثم يؤلمه ويحزنه ويشعره أنك مهملة له ، منصرفة عنه ، غير مكترثة به .

إذا كنت كذلك ، عزيزتي ، فأرجو أن تستدركي ما فات ، لتوازني ، مع علمي بما يكلفك هذا من جهدٍ عصبي ، وصبرٍ نفسي . . وفقك الله .

To much !

حدثني صديق عاد من تركيا، بعد تمضية إجازة فيها، أنه بينما كان جالساً في صالة الفندق تناهى إلى سمعه حوار بين مجموعة من الأجانب حول مختلف الأديان والمعتقدات، ولما وصلوا في حديثهم إلى الإسلام ذكروا كيف أن المسلمين يصلون في اليوم خمس مرات مع حرصهم على غسل وجوههم وأذرعتهم وأرجلهم قبل ذلك، فعلق أحدهم بقوله: To much! ، أي هذا كثير جداً!.

كنتُ أتمنى لو كنتُ قريباً من هذا الذي استكثر صلاة المسلم ووضوءه لأسأله: لِمَ لَمْ تستكثر نعمة البصر التي منحك الله إياها؟!

لماذا لم تستكثر نعمة السمع التي مكّنتك من أن تسمع كلام من يجلسون معك؟

لِم لَمْ تستكثر العقل الذي تفكر به وتحاكم؟

ألم تقرأ ما يقوله العلماء عن الخلق العظيم الذي خلقك سبحانه عليه؟

ألا تتأمل في الطيبات التي يُخرجها لك الله سبحانه من الأرض؟

ألم تتفكر في الزوجة التي خلقها الله تعالى لك لتسكن إليها؟!

أليس هذا كثيراً جداً جداً جداً؟

أليست الصلاة قليلة، ولو كانت خمس مرات في اليوم لنشكره سبحانه على ما يُنعم به علينا؟

سنعلمك بما نحسب أنك تجهله، سنعلمك أن هذه الصلوات الخمس عند الله تعالى بأجر خمسين صلاة، أفليس الله عز وجل أكرم وأعظم وأكبر؟

أليس عطاؤه سبحانه أكثر مما تأخذه الصلاة من المسلم من وقت وجهد؟! أكثر بكثير جداً جداً؟

بل إن الصلاة لا تأخذ من المسلم شيئاً، إنها تعطيه، تعطيه الراحة والطمأنينة والرضا والتوفيق والسداد في الدنيا، وتعطيه جنة عرضها السموات والأرض في الآخرة خالداً فيها أبداً.. بل الله سبحانه هو الذي يمنحه بالصلاة الراحة في الدنيا والجنة في الآخرة.

فما أكثر عطاء الله، وما أوسع رحمته، وما أجزل نعمه.

لقد قال الصحابة للنبي ﷺ حينما حدثهم عن فضل الدعاء: إذن نكثر؟ فقال ﷺ: «الله أكثر» (رواه الإمام أحمد عن ابن سعيد).

الله أكثر في عطائه ونعمه وفضله ورحماته يا أيها الذي تستكثر صلاة المسلمين.

الفرصة أمامنا .. فلماذا نضيعها ؟

مَنْ رأىٰ إنساناً علىٰ فراش الموت وهو يقول : ليتني زنيت أكثر ! ليتني سرقت أكثر ! ليتني سفكت مزيداً من الدماء؟ !

من كان قريباً من إنسان يحتضر فسمعه يقول : رب لولا أخرتني إلىٰ أجل قريب فأزداد أخذاً من الدنيا وملذاتها؟ !

أليس العكس هو الذي يحدث؟

أليس الندم علىٰ ما ضاع من الدنيا دون عمل صالح هو ما يصدر عن الإنسان الذي يقترب من الموت؟ !

ألا يقدم هذا الندم عظةً للإنسان الذي مازالت الفرصة متاحة أمامه ليعمل صالحاً وليصحح ما أفسد في حياته؟

يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون : ١٠) .

يذكر ابن كثير في تفسيره أن « . . كل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستعتب ويستدرك ما فاته . . وهيهات ، كان ما كان أوتي ما هو آت ، وكل بحسب تفريطه » .

أما الكفار فكما قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم : ٤٤) .

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠).

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ١١).

أي لا يُنظر أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رُدَّ لعاد إلى شر مما كان عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ١١).

الفرصة أمامنا.. فلماذا نضيعها؟!.

حريـة جوفاء .. حرمتهن السعادة

«نعم، إن ما أقترحه هو العودة إلى الوراء، إلى فكرة الزواج والأمومة».

لو قالت هذه العبارة داعية مسلمة لاتُهمت على الفور من دعاة التفلت بالرجعية لأنها تدعو صراحة إلى «العودة إلى الوراء»، والعودة إلى الوراء عند دعاة التفلت: رجعية.

قائلة العبارة السابقة هي الكاتبة الأمريكية دانييل كرتندن التي انتقدت ما يسمى بـ«الحركة النسائية» لأنها لم تجلب للمرأة إلا التعاسة والشقاء.

وتشرح دانييل ذلك فتقول: «نحن تشربنا أن علينا أن ننسى، أو نؤجل، الزواج وإنجاب الأطفال لأجل الوظيفة، وأننا عندما نتزوج يجب ألا نعتمد على أزواجنا مادياً، سواء أنجبنا أم لا، كما ينبغي ألا نتطلع إطلاقاً إلى أُسرنا لتحصيل الرضا والسعادة، لأن هذه الأشياء ينبغي أن نجنيها من وراء أعمالنا ووظائفنا كأفراد!!».

وتضيف: «عندما تأتي واحدة مثلي وتقول بخطأ تلك النصائح والأفكار فإن قولها عسير على الهضم، فالكثيرات منا أقنعن أنفسهن بها ورسمن حياتهن وفقاً لها، وحتى عندما نتنحى بعيداً عنها فنحن لا نريد رفضها البتة، مع أن التخلي عن تلك الأفكار هو بداية الطريق لحل المشكلات التي تواجهها النساء اليوم».

وتؤيد الكاتبة الأمريكية كلامها بشهادات من نساء جامعيات استمعت إليهن لتؤكد أن أمهاتهن أكثر حرية منهن، لنقرأ ما تقوله:

«نستطيع أن نشغل مواقع متنفذة في العمل أو الحكومة.. إلا أن كل ذلك كان على حساب قدرتنا على إدارة حياتنا الخاصة.. لقد أنصتُّ إلى العديد من النساء

العصريات من ذوات الإنجازات فوجدتهن يشتكين من أنهن لا يملكن الخيارات التي كانت متاحة لأمهاتهن في الماضي، ومن بين أولئك النساء خريجات جامعيات لا يدرين ببساطة كيف سينجزن كل شيء في حياتهن، أو حتى كيفية إنجاز أمر واحد من بين عدة أمور، مثل العثور على رجل محترم للزواج منه، وإنجاب أطفال، ومن ثم التمتع بحياة أسرية غالباً ما افتقدنها خلال طفولتهن».

وها هي تشهد بوضوح أن فطرة المرأة لن تختار إلاالزواج والأطفال والأسرة: «إننا إذا جلسنا ـ نحن النساء ـ وحاولنا بصدق تحديد المطالب التي من شأنها أن تشعرنا بالسعادة، فأنا أعتقد أن معظم ردودنا ستكون متشابهة من جهة، ومختلفة كثيراً عن الرجال من جهة أخرى، إن ردودنا ستكون مثل ما يلي:

« نرغب في الزواج من رجال يحبوننا ويحترموننا ويبقون إلى جانبنا، ونريد إنجاب الأطفال، كما نريد أن نكون أمهات صالحات».

وهذا يقتضي ـ بلا شك ـ رفض دعاوى الحركات النسائية: «لتحقيق ذلك يجب أن نبدأ برفض افتراض الحركة النسوية أن السعادة شيء نحققه بشكل مستقل وبعيد عن الرجل والأسرة، نعم، إن ما أقترحه هو العودة إلى الوراء . . إلى الزواج والأمومة».

وتؤكد على أهمية هذه الالتفاتة إلى الماضي، إلى الفطرة إذا أرادت النساء في الغرب حل مشكلاتهن التي أنجبتها «حرية جوفاء»: «إذا أردنا تغيير وضعنا ومشاكلنا فربما لن يتطلب منا ذلك العودة إلى الوراء، بل ربما احتاج منا فقط النظر إلى الوراء بصدق ووضوح، وتحديداً: النظر إلى بعض الأفكار التي لفظناها مفضلين عليها حرية غالباً ما تكون جوفاء».

وبعد . . فلتزدد الأخت المطيعة ربها ورسولها طمأنينة إلى أنها على الحق، ولتثُب إلى رشدها ودينها تلك التي مازالت مخدوعة بتلك «الحرية الجوفاء».

لا يبدلون أنظمتهم ولا يصلحونها

لو أن شركة اكتشفت عيباً فنياً في جهاز صنعته، بعد توزيعه في الأسواق، لبادرت إلىٰ استرجاع ما وزعته، ودعت من اشترىٰ إلىٰ مراجعة ورش الصيانة التابعة لها لتقوم بإصلاح الجهاز أو إبداله له.

المحزن أن العالم يكتشف كل يوم عيوباً خطيرة في أنظمته الاجتماعية، وهي أفتك وأعظم من عيوب الأجهزة، لكنه لا يصلح هذه الأنظمة ولا يبدلها.

والاختلاط بين الجنسين واحد من هذه الأنظمة التي ينتج عنها أخطار اجتماعية كبيرة وعظيمة في مختلف بلدان العالم.

وإذا كنت قد عرضت مراراً لمآسي الاختلاط في أوروبا وأمريكا فإني أنقل اليوم أرقاماً من بلد من أكبر بلدان العالم الثالث - كما يسمونه - وهو الهند، فقد كشفت دراسة اجتماعية أجرتها منظمة نسائية في نيودلهي أن ٧٦٪ من نساء الهند تعرضن للتحرش أو الاعتداء الجنسي بدرجات متفاوتة، وكان المعتدي في ٤٠٪ من الحالات من الأقارب، وفي ٣١٪ منها من الأشخاص المعروفين للأسرة، والنسبة الباقية ٢٩٪ من الغرباء.

٧٦٪ من النساء الهنديات تعرضن للتحرش! ألا تكفي هذه النسبة لمراجعة نظام الاختلاط، ثم تصحيحه أو إبداله؟

٧١٪ من المعتدين أقارب للضحايا أو معروفون لهن، أي أن الاختلاط وعدم الحجاب في مقدمة الأسباب المهيئة لجرائم الاعتداء.. هل لي أن أوشوش في أذنك - أختي المسلمة - بكلمتين: أرأيتِ كيف يحفظك الله بالحجاب ومنع الاختلاط؟.

تحسسي التاج الذي على رأسك

«الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى».

مَثَلٌ يوافق عليه الناس، وأكثر ما يرددونه ويدركونه حينما يكونون مرضى

وأرى أحياناً أن الإسلام مثل التاج على رؤوس كثير من المسلمين الذين لايرونه.. بل يراه غيرهم، أولئك الذين يعرفون حقيقته فيتحدثون عنه حديث الظامئ إلى الماء.

فإذا دخل هؤلاء الإسلام فإنهم يقولون كلاما ينبغي أن يُنبِّه أولئك الذين لايدركون ما يحملون من نعمة الله الكبرى: الإسلام.

البريطاني غي إيتون (حسن عبدالله عبدالحميد بعد إسلامه) دخل الإسلام في عام ١٩٥٠ الميلادي عندما كان أستاذاً معيداً في جامعة القاهرة، يقول: «لو لم أعتنق الإسلام لكنت اليوم عدمياً، لقد أعطاني الإسلام القدرة على اليقين، لم يعد الشك يمزق نفسي كما يمزق الحجر الجلد الزجاجي للمرآة».

يضيف هذا الرجل ذو الثقافة الرفيعة وترعرع في أسرة لا دينية: «حتى سن التاسعة لم أكن قد سمعت باسم الله، وعندما أصبحت يافعاً أقبلت بنهم على القراءة».

ثم يقول: «لقد اعتنقت الإسلام بعد فترة وجيزة من اقتناعي بأن هذا هو الخيار الذي لابد منه، شعرت بأن الانتماء الديني أصبح ضرورياً للغاية لي، ففي الإسلام وجدت حصيلة الأديان جميعها، حصيلة تقدم الإجابات الواضحة والمنطقية على جميع الأسئلة».

وشوشتي للمسلم الذي مازال غافلاً عن إسلامه: أتزهد في دينك الذي يبحث عنه ملايين القلقين والحيارى والتائهين؟

«عندك» قبل «الجنة»

أرأيتم إلى الزوجة المحبة لزوجها وهي تقول له: أسكن حيثما تسكن. المهم أن أكون معك.

وأرأيتم إلى الجار الذي يخاطب جاره وقد نوى الانتقال من بيته إلى بيت آخر: جوارك غالٍ عندي.. ولا يمكن أن أبقى في بيتي بعد رحيلك.. فقل لي أين بيتك الجديد لأنتقل إلى جوارك.

ألا يذكركم هذا بالمثل: الجار قبل الدار؟

لقد دعت آسية، زوجة الطاغية الكافر فرعون، دعت ربها أن يبني لها بيتاً، ولكن أين هذا البيت؟ لاشك في أنه في الجنة، ولكن المهم قبل كونه في الجنة أن يكون عند الله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم: ١١).

لقد قالت آسية ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فقدّمت «عندك» على «في الجنة» تأكيداً على أن كون البيت عنده سبحانه أهم من كونه في الجنة ومقدم عليه، يقول الرازي: «طلبت القرب من رحمة الله، ثم بيّنت مكان القرب بقولها في الجنة، وأرادت ارتفاع درجتها في جنة المأوى التي هي أقرب إلى العرش».

وتبقى وشوشة في آذانكم، قراءنا الكرام: قدموا رضاء الله على كل شيء يمنحكم ربكم كل شيء.

كنت أضرب أبي

نشرت جريدة «القبس» اليومية الكويتية في عددها رقم ٩٣٩٩ الخبر التالي :

استنجدت ثلاث فتيات برجال الأمن لتخليص والدهن من بين يدي أخيهن ، فقد اتصلت إحدىٰ الأخوات الثلاث بهاتف الطوارئ التابع لوزارة الداخلية للإبلاغ بأن أخاهن البالغ من العمر ١٩ سنة ويدعىٰ (أ . س) يضرب والده بشدة .

وعلىٰ الفور توجه رجال الأمن إلىٰ مكان البلاغ وتم إلقاء القبض علىٰ الولد واقتياده إلىٰ مخفر الشرطة ، ونقل الأب إلىٰ المستشفىٰ ، حيث أسعف وأُعطي تقريراً طبيباً يفيد بأنه مصاب بكسر في يده وبعدة جروح في أماكن مختلفة من جسمه . . وقد أبلغ الوالد رجال الأمن أنه رفض إعطاء ابنه مبلغاً من المال طلبه لكي يسافر مع أصدقائه إلىٰ تايلند ، فما كان من الولد إلا أن استشاط غضباً ، وأخذ عصا غليظة انهال بها ضرباً علىٰ والده .

والغريب في هذه القضية أن الوالد رفض تسجيل قضية ضد ابنه ، وقال لرجال الأمن : «أنا في السابق كنت أضرب أبي ، وكما تدين تُدان» وانخرط في البكاء .

وقد أخذ المخفر تعهداً علىٰ الولد من دون تسجيل قضية في حقه .

الخبر لا يحتاج إلىٰ تعليق ، لكن لابد من وشوشة أقول فيها للأبناء : لاتنسوا حديث المصطفىٰ ﷺ : «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم» .

مسابقات ملكات الجمال

فيها أذى للنساء كبير

هل يمكن أن يكون في مسابقات انتخاب ما يسمى «ملكة الجمال» أي تكريم للمرأة؟

لنجيب عن هذا السؤال، علينا أن ننظر فيما انتُخبت هذه المرأة على أساسه، لتصير ملكة فيه: هل هو الفكر؟ أي أن المسابقة أجرت امتحانات كتابية وشفهية نجحت في نتيجتها تلك المرأة فصارت ملكة؟!

أم أنه الشخصية، فكانت هناك مقاييس نفسية واجتماعية اختيرت على أساسها تلك المرأة فصارت ملكة؟

أم أنه الخُلق، فكان هناك سجل حوى أفعال الخير والإحسان والصدق والأمانة فاختيرت تلك المرأة ملكة لأن سجلها أملأ السجلات؟

لاشك في أن الإجابة هي: لا، لم تُنتخب تلك المرأة أو الفتاة ملكة على أي أساس من أولئك الأسس! إنما اختيرت على أساس الشكل وحده، والمظهر دون غيره، وإن حاولوا في المسابقات الأخيرة أن يطرحوا على المرشحات في المسابقات بعض الأسئلة لإيهامنا أنهم مهتمون بالعقل والثقافة والشخصية.

ونعود إلى سؤالنا الأول: هل يمكن أن يكون في مسابقات انتخاب ملكات الجمال أي تكريم للمرأة؟

نقول الآن: لا، ليس فيها أي تكريم للمرأة، لأن تلك المسابقات تختار ملكاتها على أساس ليس للمرأة دخل فيه، ولا دور في صنعه، ومن ثم فليس

فيها تكريم لها .

بل إن فيها أذىً كبيراً لها ، أذىً تؤكده الأمور التالية :

ـ ألا يعني انتخاب الملكة من النساء على أساس الشكل أننا نزن المرأة بميزان المظهر لا بميزان الجوهر؟ أننا نثمنها بملامح وجهها ومقاييس جسمها ولا نثمنها بأفكار عقلها وتهذيب شخصها وإشعاعات روحها؟

ـ ماذا تقول هذه المسابقات لسائر النساء؟ هل تقول لهن أنتن أقل جمالاً؟ لاقيمة لكن لأن أشكالكن ليست حسنة؟ قصر قاماتكن أو بدانة أجسامكن تمنعكن من النجاح في مثل هذه المسابقات . . بل حتى من التفكير في المشاركة فيها؟ أليس هذا ما تقوله تلك المسابقات لسائر النساء؟ وأليس في هذا أذى كبير لهن؟

ـ أليس في هذه المسابقات تشجيع على مزيد من السفور والتكشف والتبرج؟ أليس في إجرائها في بلاد المسلمين خروج صريح على ما يأمر به الإسلام؟ وإذا كان ذلك كذلك فإن فيه أذىً كبيراً للنساء المسلمات الملتزمات .

ولعل ما يؤكد ما تسببه هذه المسابقات من أذىً لسائر النساء تلك المظاهرات النسائية المعترضة على تنظيم مسابقات انتخاب ملكات الجمال ، واعتراضات هيئات وجمعيات نسائية عليها في مختلف أنحاء العالم .

وأخيراً . . فإن أذىً تلك المسابقات يشمل حتى المشاركات فيها ، بل حتى الملكة الفائزة ووصيفتيها ، لأن تسليط الأضواء عليهن ، ونشر صورهن في الصحف والمجلات ، وظهورهن على شاشات المحطات التليفزيونية ، يدفعهن إلى مزيد من الغرق في تلك المستنقعات الآسنات ، ويجعلهن هدفاً لكثيرين من المعتدين ، أو العاملين في الإعلانات التجارية والأفلام السينمائية ، فتنزلق أقدامهن أكثر فأكثر .

حين تبكي الزوجات

هل عدتَ عزيزي الزوج يوماً إلىٰ بيتك، فوجدت زوجتك تبكي؟

هل اتصلتَ بها هاتفياً، ذات صباح أو ذات مساء، فجاءك صوتها مخنوقاً متهدجاً من أثر البكاء؟

هل استيقظت من نومك في إحدىٰ الليالي علىٰ صوت نشيج زوجتك الباكية؟ وما كان رد فعلك تجاه بكائها؟

هل قلت لها: هل هذا وقت البكاء؟

هل استنكرت عليها بكاءها.. وضاقت به نفسك؟

هل صرخت فيها قائلاً: ما أكثر ما تبكين!.

كما تعودنا، في هذا الباب - فإننا نعود إلىٰ بيت النبي ﷺ نقتبس منه ما يفعله الزوج ويقوله إذا وجد زوجته تبكي:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: إنها بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة: أنتِ ابنة يهودي! فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبم تفتخر عليك؟»، ثم قال: «اتقي الله يا حفصة!» (أخرجه الترمذي وصححه النسائي).

تأمل، عزيزي الزوج، في هذه النقلة الحكيمة الرحيمة من النبي ﷺ لزوجته صفية، النقلة التي رفعتها من كونها ابنة يهودي - كما قالت لها حفصة - إلىٰ قرابةٍ بثلاثة أنبياء: موسىٰ وهارون ومحمد - عليهم الصلاة والسلام؟

لقد قال لها ﷺ: «إنك لابنة نبي، وإنَّ عمَّك لنبي» فجعل موسى عليه السلام أباً لها، وهارون عليه السلام عماً لها - مادام أخاً لموسى عليه السلام - وهي تحت النبي ﷺ، أي زوجته، فأي تطييب للخاطر أفضل من هذا التطييب؟! وأي مواساة أعظم من هذه المواساة؟! وأي ترضية أحسن من هذه الترضية؟!

أي مسحٍ للدمعة المنسابة من عيني صفية خيرٌ من هذا المسح؟ أيّ مداواة للجرح الذي سبّبته كلمة ضرتها حفصة أشفى من هذه المداواة؟

إنها دعوة لكل زوج حتى لا يضيق ببكاء زوجته، ولا يتبرم من تأثرها تجاه كلمة سمعتها من ضرتها، أو من أخته، أومن أي أحد آخر، بل حتى لو صدرت هذه الكلمة منه هو.. ليتسع صدره لها، وليسأل زوجته برفق وعطف وحنان: عسى ما شر.. هل آذاك أحد؟ هل أحزنك إنسان؟ لعلي أنا الذي أبكيتك؟!.

وهكذا.. فيكسب الزوج كثيراً، يكسب رضا ربه، ويكسب رضا زوجته، ويكسب رضا نفسه عن نفسه.

ولو عدنا إلى قراءة الحديث فسنجد أن النبي ﷺ لم يكتفِ بتطييب خاطر أم المؤمنين صفية.. بل توجه أيضاً إلى من آذتها بكلمتها لها: «أنت ابنة يهودي» توجه إلى أم المؤمنين حفصة صاحبة هذه الكلمة الجارحة، فقال لها: «اتقي الله ياحفصة».. وهذا زيادة في جبر خاطر صفية - رضي الله عنها وعن جميع أمهات المؤمنين.

يبقى توجيه لابد منه لكل زوجة يتأسى زوجها بالنبي ﷺ فيُطيِّب خاطرها كلما رآها تبكي: لا تستغلي هذا التعاطف من زوجك فتتباكين حين لا يكون هناك حاجة إلى البكاء، فقط من أجل استدرار عطف زوجك!.

كذلك احذري من افتعال البكاء حين تكونين أنتِ المخطئة بحق غيرك، لتظهري أمامه مظلومة.. وأنت في حقيقة الأمر ظالمة! فهذا من باطن الإثم، الذي يحذر الله تعالى منه.

روايات مرعبة عن أزواج فرّوا

حذرت حكومة بريطانيا النساء من عواقب فتح حسابات مشتركة مع الأزواج أو الشركاء في المنزل، مخافة تعرضهن للإفلاس أو ملاحقة الجهات الدائنة.

وقالت وزيرة الخزانة : إن البريطانيات يفرطن في الوثوق بأزواجهن فيواجهن خطر الانهيار المالي إذا تركن لهم اتخاذ القرار في التصرف، وهذا التحذير يرمي إلى تنبيه النساء من مغبة الوقوع تحت طائلة المطالبات عندما يفر الأزواج بعد أن يسحبوا مبالغ تفوق الائتمانات.

وكان البريطانيون ينظرون إلى الحسابات المشتركة باعتبارها حجر الزاوية في الزواج، لكن تقرير وزارة الخزانة يدعوهن إلى الامتناع عن فتحها وعلى ضبط سياسة تسديد مستحقات التقاعد والتأمين، علماً بأن نصف المتزوجين يفتحون حسابات مشتركة أو يتقاسمون بالتكافل والتضامن حسابات الاستثمار والتأمين.

ويدعو التقرير إلى تعليم النساء أهمية الاستقلال المالي في سن مبكرة، وهو يؤكد أن غالبية النساء لا تعرف كيفية التصرف في القضايا المالية عند حدوث الطلاق، وكثير من النساء يجدن أنفسهن فجأة تحت وطأة سداد ديون لسن مسؤولات عنها عملياً إنما قانونياً، لأن الحساب المشترك يتضمن المسؤولية الفردية والمشتركة.

وتعترف البنوك البريطانية بأن الحسابات المشتركة خطرة، وقال ناطق باسم جمعية المصارف البريطانية : «إن هناك روايات مرعبة عن أزواج فروا من زوجاتهم تاركين إياهن تحت طائلة المسؤولية».

هذا ما نشرته جريدة «صنداي إكسبريس»[١] كاشفة عن معاناة نساء بريطانيات كثيرات من استغلال أزواجهن للحسابات المشتركة بينهم وبينهن، واصفة هذه الحسابات بأنها «خطرة»، مشيرة إلى روايات تصفها بـ«مرعبة» عن أزواج تركوا زوجاتهم متحملات المسؤوليات وحدهن.

لقد وقى الإسلام النساء من هذا كله، حين جعل للمرأة استقلالها المالي الذي لم تحصل عليه كثيرات من النساء في العالم، إلا قبل عهد قريب.

من يحمي المرأة ويحفظ حقوقها؟ أليس الإسلام؟!.

(١) نشرت ترجمة ذلك جريدة «القبس» الكويتية اليومية في عددها رقم ٩٤١٤ (٢٣/ ٥/ ١٤٢٠هـ)

الذكرى السبعون

أم الذكرى الألف والأربعمائة؟!

احتفلت النساء البريطانيات بالذكرىٰ السبعين لاعتراف القانون البريطاني بهن بوصفهن «أشخاصاً قانونيين»، وعقد في العاصمة البريطانية مؤتمر خاص بالذكرىٰ.

وحتىٰ القرن التاسع عشر كانت النساء اللاتي يتزوجن يفقدن حقوقهن في ملكية أموالهن وعقاراتهن التي كانت تذهب إلىٰ أزواجهن، لكن تشريعات صدرت عامي ١٨٧٠ و ١٨٨٢م حول حقوق الملكية للنساء، سمحت لهن بالاحتفاظ بمداخيلهن، وملكيتهن الخاصة، وعائدات استثمار أموالهن بمبالغ أقل من ٢٠٠ جنيه استرليني.

وفي عام ١٩١٨م حصلت النساء علىٰ حقوق محدودة للاقتراع بوضعهن كمالكات أو وضعهن الزوجي.

وفي عام ١٩٢٩م اعتبرت كلمة «الأشخاص» في التشريعات البريطانية شاملة النساء إضافة إلىٰ الرجال، وتم ذلك بعد معركة طويلة دامت عشرة أعوام قادتها إيميلي ميرفي[١].

إذا كانت النساء البريطانيات احتفلن بالذكرىٰ السبعين لاعتراف القانون البريطاني بهن بوصفهن «أشخاصاً قانونيين» فإنه يحق للمرأة المسلمة أن تحتفل بالذكرىٰ الألف والأربعمائة علىٰ نيل حقوقها الكاملة في شرع الإسلام الحنيف

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧٦٣٧.

بوصفها إنساناً له حقوقه .

إن نظرة واحدة في عبارة « . . وحتى القرن التاسع عشر كانت النساء اللواتي يتزوجن يفقدن حقوقهن في ملكية أموالهن وعقاراتهن التي كانت تذهب إلى أزواجهن» إن نظرة واحدة إلى هذه العبارة تكفي لإدراك الظلم الذي كان لاحقاً بالمرأة البريطانية «ولا تختلف عنها كثيراً سائر نساء أوروبا» طوال قرون طويلة كانت خلالها المرأة المسلمة ـ وما زالت ـ تتمتع بحق الملكية الكامل، تزوجت أم لم تتزوج، بل ليس للرجل، سواء أكان زوجها، أم أخاها، أم ابنها أن يأخذ درهماً واحداً من مالها إلا بطيب نفسها .

لماذا لا نقوم ببيان ما منحه الله سبحانه للمرأة في شريعة الإسلام من حقوق عظيمة عن طريق البرامج التليفزيونية التي تبث عبر المحطات الفضائية، وباللغات المختلفة، لتعرف النساء في مختلف أنحاء العالم ما لهن من حقوق في شريعة الإسلام؟ أليس هذا من الدعوة إلى الله؟

كذلك نسأل : لماذا لا توزع مكاتب الإعلام في سفارات الدول المسلمة في الغرب مطويات صغيرة تعرض بإيجاز حقوق المرأة في الإسلام .

إن هذه المطويات لن تكلف كثيراً، لكن المرجو أن تنفع كثيراً، وتصحح تصورات غير صحيحة في أذهان الغربيات عن النساء المسلمات .

يمنعونـهن من الزواج

ولا يمنعونهن من الزنا !

من المضحك المبكي أن كثيراً من قوانين بلدان العالم تمنع زواج الفتاة قبل أن تبلغ الثامنة عشرة من عمرها، لكنها لا تمنع الفتاة من معاشرة الرجال في أي سن!

والإسلام على العكس من قوانين أولئك، فهو يبيح زواج الفتاة منذ بلوغها ويحرّم معاشرتها دون زواج في أي سن!.

ماذا كانت النتيجة؟

الفتيات آمنات، مصونات، محفوظات الحقوق في المجتمعات الإسلامية، والفتيات القاصرات يحملن سفاحاً في المجتمعات الأخرى، ومع حملهن ما في بطونهن يحملن مسؤوليات مختلفة وحدهن.. دون مَنْ حملن منهم.

هل تصدقون أن في بريطانيا وحدها، وفي عام ١٩٩٧م فقط حدثت ٩٠ ألف حالة حمل غير شرعي لفتيات قاصرات؟!

تقول وكالة أنباء رويترز التي نقلت هذا الرقم: رؤية فتاة صغيرة تجر أمامها عربة أطفال في شوارع لندن تعدّ منظراً مألوفاً، وبارتفاع حالات الحمل بين المراهقات البريطانيات أدركت الحكومة ضرورة التدخل وتعهدت خفض عدد الأمهات القاصرات إلى النصف. تأثر رئيس الوزراء البريطاني توني بلير بالمشكلة ودعا إلى منهج أخلاقي جديد للأجيال الصغيرة، قال متحدث باسم بلير: إنها قضية حقيقية تسيء إلى المجتمع البريطاني، وقد وضعها رئيس الوزراء على قائمة اهتماماته السياسية، ولم يدخر خبراء الأطفال وسعاً للتوصل إلى تفسير مقنع

لتزايد حالات الحمل بين الفتيات الصغيرات، فقد أنحوا باللوم على وسائل الإعلام ووصفوها بأنها مصابة بهوس جنسي، وأشاروا إلى ضعف الرقابة العائلية.

وقال كريستوفر هربرت الأسقف الأنغليكاني بسانت البانز: إن وسائل الإعلام تلعب دوراً في هذه المشكلة، وأشار إلى مجلات للبنات مليئة بأفكار جنسية وقصص إباحية وإلى أفلام وشرائط فيديو تصور مشاهد جنسية صريحة، كما انتقد آباء وأمهات يتركون لبناتهم الحبل على الغارب.

وأضاف في مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية: إنه موقف المجتمع كله من الجنس، نحن مُحاطون بالجنس من كل الزوايا، القرار في يد الآباء والأمهات: يجب أن يُغلقوا التليفزيون.

إذا أردنا أن نختصر ما سبق فإننا نقول: إنهم يدعون إلى ما يدعو إليه الإسلام.

إنهم يطالبون بما نطالب به، ويحذرون مما حذرنا منه، ونحذر، فما بال أقوام لا يكترثون، ومما نحذر منه لا يحذرون، وبما نطالب به لا يعملون!

سنعيد مطالبنا التي تضمنها الخبر السابق:

- جعل الخُلق ونشر الفضيلة على رأس قائمة اهتمامات المسؤولين.
- تربية الأجيال الصغيرة على الإسلام فهو خير ما يحفظهم الله تعالى به.
- زيادة رقابة الأهل على أبنائهم وبناتهم وتحميلهم مسؤوليات من ينحرف منهم.
- زيادة الرقابة على ما تعرضه وسائل الإعلام المختلفة وفي مقدمتها الفضائيات.

شرارة البلالي.. مـاذا فعلـتْ ؟!

«أخي المدمن» هاتان الكلمتان اللتان كانتا عنواناً لمقالة كتبها الشيخ عبدالحميد البلالي في إحدىٰ الصحف اليومية . . عملتا ، بعد توفيق الله وهداه ، علىٰ إقلاع الأخ «أبي خالد» عن المخدرات ، بعد إدمان استمر عشرين عاماً ، مع مجموعة من صحبه .

تعالوا نستمع إلىٰ تفصيل ذلك من الأخ «أبي خالد» نفسه ، يقول ـ وفقه الله وثبته وأعانه ـ : كنت أقضي مدة حبس حُكِم بها عليَّ في السجن بسبب تعاطي المخدرات ، وذات يوم وبينما كنتُ أقلّب إحدىٰ الصحف وقع نظري علىٰ عنوان مقالة يقول : «أخي المدمن» . . هزّني العنوان وأثار مشاعري ، فقد تعودنا علىٰ مخاطبة فوقية ازدرائية من المجتمع من حولنا ، المهم أني قرأت المقالة التي كانت للشيخ عبدالحميد البلالي ـ حفظه الله ـ وحملتها بعد ذلك إلىٰ رفاقي المدمنين معي في السجن ، فاستقبلوها بمثل ما استقبلتها به ، وكانت هذه هي الشرارة الأولىٰ في توبتنا وإقلاعنا بعد اتصالنا بالشيخ البلالي الذي واصل معنا الطريق ، وأخذ بأيدينا برفق ، وجعلنا ـ بعد الله تعالىٰ ـ نجتاز العقبات ، الواحدة تلو الأخرىٰ ، لنصل إلىٰ واحة الالتزام التام بالإسلام .

إذن فإن «أخي المدمن» من رئيس «لجنة بشائر الخير» الشيخ عبدالحميد البلالي ـ حفظه الله وأثابه ـ كانت شرارة أشعلت مشاعر إيجابية طيبة داخل أبي خالد وصحبه ، وهذا يذكرنا بوصية النبي ﷺ بأن لا نعين الشيطان علىٰ أخ لنا وقع في معصيته ، بل نعينه هو للتغلب علىٰ شيطانه .

ويذكرنا كذلك بوصاياه ﷺ بالرفق ، وأنه ليس في مجال أو مجالين ، وأمر أو أمرين ، إنما الرفق في الأمور كلها ؛ فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال

رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» (متفق عليه).

بل إن النبي ﷺ يعلّمنا بأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، بل على ما سواه، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه» (رواه مسلم).

حتى إن النبي ﷺ يجعل الرفق سبباً في تحسين كل شيء، «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه» (رواه مسلم).

وأكثر من هذا أن النبي ﷺ يجعل الرفق قريناً للخير، فمن لم يكن رفيقاً لم يكن فيه خير: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله» (رواه مسلم).

هل رأيتم: (يُحرم الخير كله)! أليس لنا بعد هذه الأحاديث الصحيحة أن نقول مطمئنين: إن الإسلام دين الرفق.

ليت الدعاة إلى الله، إلى الإسلام، يتذكرون هذا جيداً وهم يدعون الناس، ويوجهونهم، ويصلحونهم، ويعلمونهم.

ليتهم يقدمون الرفق على كل شيء، ليتهم يكونون رفقاء في كلامهم، في حركات أيديهم، في نظراتهم.. ليحرصوا وليعملوا على أن يرى المدعوّ في عيونهم نظرات الخوف عليه، والحرص على نجاته من النار، وأن يشعر بعواطفهم الدافئة تحيط به، وتحزن عليه إن لم يستجب لدعوتهم.

ليتذكروا قوله تعالى في نبيهم ﷺ في الآية قبل الأخيرة من سورة التوبة: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (التوبة: ١٢٨)، وليتأسّوا به ﷺ.

لا «البنطلون» ولا «التنورة» !

تقدمت إحدىٰ الأمهات البريطانيات بشكوىٰ إلىٰ القضاء ضد مدرسة في غيتشهيد «شمال بريطانيا» لأنها ترفض بإصرار السماح للتلميذات بارتداء البنطلونات في المدرسة .

وأعلنت كلير هلير ـ الأستاذة في جامعة ليدز ـ أنها مسألة مهمة لأن التلميذات يجب أن يشعرن بالارتياح في المدرسة لا أن يصبن بالبرد .

وتفرض غالبية المدارس في بريطانيا نظاماً لباسياً صارماً للغاية ، ويتعين علىٰ التلاميذ التقيد باللباس الرسمي الذي تقرره المدرسة .

وهكذا يجد التلاميذ أنفسهم يرتدون البنطلونات القصيرة في الشتاء ، بينما ترتدي التلميذات التنانير ما يحملهن علىٰ ارتداء طبقات عدة من الجوارب اتقاءً للبرد بحسب شهادات الأمهات التي نقلتها الصحف .

وعلىٰ الرغم من حصول هير علىٰ تأييد لجنة حكومية مكلفة بمكافحة التفرقة إلا أن المسؤولين في المدرسة أصروا علىٰ موقفهم الرافض لارتداء البنات البنطلونات[1] .

ألا ترون أن اللباس الإسلامي يستجيب لشكوىٰ الأم ويرضي المدرسة في وقت واحد؟!

رغبة الأمهات في ارتداء بناتهن «البنطلونات» الطويلة حتىٰ «يشعرن بالارتياح في المدرسة ولا يصبن بالبرد» يحققها اللباس الإسلامي الفضفاض

---

(١) وكالة الأنباء الفرنسية (أ . ف . ب) ٢٠/ ٥/ ١٤٢٠هـ ـ ٣١/ ٨/ ١٩٩٩م .

الذي يحرر الفتاة من تلك الملابس الضيقة، وهو في الوقت نفسه يستر جسدها كله، ومن ثم يحميها من البرد.

ورغبة المدرسة في توحيد لباس البنات، وجعله لباساً رسمياً يلتزمن به جميعاً، يحققها أيضاً اللباس الإسلامي الذي يملك من التوحيد بين البنات أكثر مما يملكه أي لباس آخر، وذلك لأنه ببساطة يخفي كثيراً من الفروق بينهن.

ولنقف قليلاً عند إصرار إدارة المدرسة على فرض اللباس الذي اختارته، ونحن نتساءل: لو فرضت إدارة مدرسة في بلادنا المسلمة اللباس الإسلامي على طالباتها.. أكانت تنجو من اعتراضات واحتجاجات كثيرين؟!.

إن البنات في المراحل التعليمية المختلفة إنما هُنَّ طالبات علم وأدب، وما يليق بهن - وهن كذلك - لا اللباس القصير الذي تفرضه إدارة المدرسة البريطانية، ولا لباس «البنطلون» الذي تطالب به الأمهات.. إنما الذي يليق بهن لباس المسلمات الذي يحقق لهن جميعاً مختلف الغايات.

محاولة اغتصاب في سيارة النقل العام

يقول النبي ﷺ : «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» (متفق على صحته). ويقول ﷺ أيضاً: «لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما» (رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح).

مازال كثيرون غير ملتزمين بما يأمر به الإسلام من تحريم سفر المرأة دون أن يكون معها رجل ذو محرم، ومن تحريم خلوة الرجل بالمرأة، على الرغم من ملايين الجرائم التي تقع كل عام، وتكون ضحاياها من النساء، نتيجة عدم العمل بما يأمر به الإسلام.

ولو أن امرأة ركبت في سيارة النقل العام وكان فيها ركاب من رجال ونساء لربما لم نجد ما نمنع به المرأة من هذا، لأنها ليست في سفر في انتقالها داخل المدينة، ولأن الخلوة غير متحققة بوجود هذا العدد من الركاب الآخرين.

ولكن لو حدث أن نزل جميع الركاب من سيارة النقل العام هذه والمرأة الراكبة لم تصل إلى محطتها التي تقصدها بعد، فهل تبقى مستمرة أم تنزل من السيارة لأن الخلوة صارت متحققة؟

لاشك في أن عليها أن تنزل مادامت الخلوة قد تحققت، وقولنا بوجوب نزولها سيثير سخرية هؤلاء الكثيرين الذين وصفناهم بعدم الالتزام، وغيرهم من الذين يدعون إلى خروج المرأة كيف تشاء ومتى تشاء.

وإلى هؤلاء وأولئك وغيرهم ننقل هذا الخبر، كما نُشِرَ، دون تغيير في صياغته أو ألفاظه:

«حاول محصل أتوبيس اغتصاب راكبة بعد نزول جميع الركاب بالمحطة النهائية لأتوبيس منطقة المنيب بالجيزة بمصر.

وكانت الراكبة ف. م قد استقلت الأتوبيس رقم ٤ بمنطقة المنيب التابع لهيئة النقل العام، وفي المحطة النهائية نزل جميع الركاب. وفوجئت الراكبة بأن المحصل أغلق عليها الأبواب والشبابيك وطلب من السائق إطفاء الأنوار والاستمرار في السير إلى الجراج بمنطقة أبو النمرس، وفي الطريق علت صرخاتها من داخل الأتوبيس فتوقف السائق فوراً ليقوم بإنزالها حيث تقدمت بشكوى إلى النيابة التي ضبطت المتهمين وقامت بالتحقيق معهما»[١].

وهكذا تظهر حكمة التشريع الإسلامي العظيم في حماية المرأة بتحريمه الخلوة بها، وسفرها دون محرم لها، وليس في التضييق عليها وتقييدها كما يزعم الزاعمون.

ولربما قال من قال إن عشرات النساء الأخريات يبقين في سيارات النقل العام وحدهن ولا يعتدي عليهن المحصل أو السائق! وردنا واضح وهو أن التشريع يحمي الجميع، ومثله في ذلك مثل قانون المرور، فليس لأحد أن يقول محتجاً على منع تجاوز الإشارة الحمراء: إن آلافاً يتجاوزونها دون أن تقع لهم حادثة! فالرد عليه: إن حادثة واحدة تقع من بين هذه الآلاف من التجاوزات كافية لإصدار قانون يمنع هذا التجاوز، هذا إضافة إلى أن حوادث الاعتداء على النساء بسبب الخلوة والسفر دون محرم ليست قليلة.. بل هي ملايين كل عام.. كما أشرنا في بداية هذا الكلام.

---

(١) جريدة «الوطن» الكويتية ـ العدد ٨٣٧٤ (٢٥/ ٢/ ١٤٢٠هـ ـ ٩/ ٦/ ١٩٩٩م).

أربع تحيات إلى أربع مضيفات

خمس تحيات أحب أن أوجهها إلى أربع مسلمات ومحكمة . . المسلمات الأربع هن أربع مضيفات جويات يعملن في شركة مصر للطيران، والمحكمة هي محكمة استئناف القاهرة ومعها المحكمة الابتدائية .

ولوم أحب أن أوجهه إلى شركة مصر للطيران التي أقيمت الدعوى القضائية عليها من قِبَل المضيفات الأربع .

لقد رفضت المضيفات تقديم الخمرة إلى الركاب طاعة لربهن الذي حرم الخمرة، وحرم تقديمها إلى الآخرين، ولما حاولت شركة الطيران إرغامهن على ذلك رفعن دعوى قبل سنة من الحكم بعد تهديدهن بالفصل من العمل .

حكمت المحكمة الابتدائية لصالح المضيفات اللواتي رفضن تقديم الخمور لأن ذلك يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي .

الحكم لم يعجب شركة مصر للطيران فاستأنفت الحكم، لكن محكمة استئناف القاهرة أكدت الحكم الصادر عن المحكمة الابتدائية، وقالت إن على المؤسسات المصرية الالتزام بتعاليم الشريعة التي هي المصدر الرئيس للتشريع طبقاً للدستور المصري[١] .

أقول في تحياتي للمضيفات الأربع : بارك الله فيكن، وأجزل لكن ثوابكن وجعلكن أسوة لغيركن، في الانتصار لإسلامكن، وطاعة ربكن .

وأقول في تحيتي للمحكمة الابتدائية ومحكمة الاستئناف : هكذا القضاء

(١) نقلت الخبر وكالة الصحافة الفرنسية في ٩/ ١١/ ١٤١٩ هـ ـ ٧/ ٣/ ١٩٩٩م .

الحر النزيه الذي يحكم بما أنزل الله تعالىٰ، وجزىٰ سبحانه القضاة الذين انتصفوا لهؤلاء المسلمات كل خير وسددهم دائماً للحكم بكتابه.

ويبقىٰ توجيه اللوم إلىٰ شركة الطيران التي وقفت ثلاثة مواقف محزنة إن لم تكن مخزية:

١ ـ حاولت إرغام المضيفات علىٰ تقديم الخمرة للركاب دون مراعاة لحرصهن علىٰ التزام إسلامهن.

٢ ـ استأنفت حكم المحكمة الابتدائية في إصرار علىٰ إدانة المضيفات.

٣ ـ هددتهن بالفصل إن لم ينصعن لأوامرها.

وأوجّه اللوم أيضاً إلىٰ مئات المضيفات اللواتي يطعن المخلوق الذي يأمرهن بتقديم الخمرة إلىٰ الركاب.. ويعصين الخالق الذي ينهاهن عن هذا.

واسمحوا لي أن أعيد ما قالته محكمة استئناف القاهرة في حكمها الذي نصرت به المضيفات الأربع «علىٰ المؤسسات المصرية الالتزام بتعاليم الشريعة التي هي المصدر الرئيس للتشريع».. فهل تلتزم؟!.

مضيفات الدانمرك

يطلبن التحرر من التبرج

سبق أن كتبت مدللاً على أن التبرج والسفور قيد من القيود التي ترسف فيها المرأة غير الملتزمة بالخمار الإسلامي[١] .

واليوم تنقل وكالة الصحافة الفرنسية (أ. ف . ب) خبراً أجد فيه دليلاً آخر على ما سبق أن ذهبت إليه من أن التبرج قيد على المرأة من عدة وجوه، قيد بسبب ما يأخذه من وقت تمضيه المرأة في التزين ووضع الأصباغ على وجهها، وقيد بسبب ما يكلفها من مال تشتري به تلك (الماكياجات)، وقيد حين يجعلها لاتتساوى بالرجل الذي يُعفى من (الماكياج).

تعالوا نقرأ الخبر كما نقلته وكالة الأنباء[٢] :

اعتبر مجلس المساواة بين الجنسين في كوبنهاجن أن «المكياج ليس ضرورياً لعمل مضيفة الطيران في الدانمرك» مؤكداً بذلك خطأ شركة الطيران الدانمركية «مارسك إير» التي تفرض على طواقمها النسائية التبرج بصورة دائمة أثناء العمل.

وقد اعتبرت المضيفات هذا الطلب تمييزاً في حقوقهن، ورفعن شكوى قضائية ضد الشركة أمام محكمة تارنباري في شرق كوبنهاجن عبر نقابة الموظفين «إف. تي. إف».

---

(١) في كتاب «من أجل تحرير حقيقي للمرأة».
(٢) وكالة الأنباء الفرنسية (أ. ف . ب) ٧/ ٢/ ١٤١٩هـ-٢/ ٦/ ١٩٩٨م.

وصرحت ميتي سينيكا، وهي قاضية في مجلس المساواة بين الجنسين لوكالة فرانس برس: «إن النقابة طلبت رأينا في هذا الموضوع، وقد وجدنا أن فرض الماكياج أمر غير قانوني بموجب البند الرابع من قانون المساواة الذي يفرض على أصحاب العمل معاملة النساء والرجال بشكل متساوٍ».

وأضافت «أن فرض الماكياج يستتبع نفقات مالية وإرباكات شخصية ـ تمضية وقت إضافي للتبرج ـ في ظروف عمل النساء مقارنة بالرجال».

وكانت «مارسك إير» وهي شركة خاصة تابعة للمجموعة البحرية والنفطية «إي. بي. مولر» بررت فرضها الماكياج على مضيفاتها بضرورة تقدير الركاب واحترامهم!.

وقالت نقابة «إف. تي. إف» إن أي استطلاع للرأي لم يجر لدعم هذا الطلب.

إلى ذلك أوضحت القاضية سينيكا أن رأي مجلس المساواة ليس ملزماً، مشيرة إلى أنه يعود إلى المحكمة البتُّ في هذه المسألة.

ولنتأمل الآن فيما حمله الخبر من دلالات على أن التبرج قيد من القيود أرادت هؤلاء المضيفات الجويات التحرر منه:

ـ «فرض الماكياج يستتبع نفقات مالية».. كما جاء في الخبر، أي أن التبرج قيد مادي، فإذا كانت المضيفة تتقاضى مرتباً محدداً فإن إجبارها على التبرج الدائم سيستنفد قسطاً غير قليل من ذاك المرتب.

ولعل هذا يوضح كم يوفر الحجاب على من تلتزم به، فالمحجبة التي تعمل خارج بيتها، مرتاحة من هذا التزين المستمر الذي يرهق ميزانيتها.

ـ أشارت القاضية سينيكا إلى أن فرض الماكياج «يحدث إرباكات للمضيفات بسبب تضميتهن وقتاً إضافياً في التبرج» وهذا قيد أيضاً لأنه يشبه عملاً إضافياً دون أجر.

وهذا أيضاً تحررت منه المحجبة التي ترتدي حجابها في لحظات، وتوفر ذاك الوقت غير القصير الذي يضيع كل يوم من المتبرجة، وربما أكثر من مرة كل يوم.

- يبقى تبرير شركة الطيران الدانمركية الخاصة فرضها الماكياج على مضيفاتها بـ«ضرورة تقدير الركاب واحترامهم»!

أفليس هذا عين الرق وروح العبودية؟

هل صار تقدير الركاب بتبرج المضيفات لهم؟

هل أصبح احترامهم بكشف المفاتن وإبرازها؟

أليس هذا رقاً جديداً أحسّت به هؤلاء المضيفات فرفعن أمرهن إلى القضاء؟!.

ثلاث مجاهدات صغيرات من الدانمرك

هل تصل الكراهية في نفس مدرس دانمركي إلىٰ درجة يرفض فيها تدريس تلميذات محجبات في الصف الذي يعلّم فيه؟!

نعم، وصلت الكراهية إلىٰ هذه الدرجة، وليس لدىٰ مدرس دانمركي واحد، إنما لدىٰ مدرسين اثنين.

ولا نعلم نوع هذه الكراهية، أهي كراهية الإسلام الذي تدين به هؤلاء التلميذات؟ أم كراهية الطهارة التي يعنيها الحجاب؟

علىٰ أي حال فإذا كنا نشير إلىٰ هذه الكراهية فإن علينا أن نشير في الوقت نفسه إلىٰ قوانين عادلة في الدانمرك عاقبت هذين المدرسين بطردهما من المدرسة ثم إحالتهما إلىٰ التقاعد المبكر.

لنقرأ الخبر الذي نقلته وكالة الأنباء الفرنسية[١] :

أعلنت السلطات المحلية في أودنس «وسط الدانمرك» أن معلمين في مدرسة حكومية في المدينة طُردا لرفضهما تدريس ثلاث تلميذات محجبات.

والمعلمان (بينت لينهارت كريستيانسن) و (ليليان فورغارد) البالغ كلاهما السابعة والخمسين، وهما من مدرسة دالوم، سيحالان علىٰ التقاعد المبكر في نهاية السنة وفي انتظار نهاية الفترة سيقومان بعمل إداري.

وتسبب المعلمان ـ العام الماضي ـ في جدل حاد عندما رفضا تدريس ثلاث تلميذات مسلمات رفضن التخلي عن حجابهن داخل الصف، وعندما فرض

(١) وكالة الأنباء الفرنسية في ٨/ ٢/ ١٤١٩هـ ـ ٣/ ٦/ ١٩٩٨م .

مدير المدرسة على المعلمين تعليم جميع التلاميذ أخذا إجازة مرض دامت سبعة أشهر، وأقر الأطباء أنهما ليسا مريضين وأن عليهما العودة إلى التعليم بدءاً من ٢٦ من الشهر نفسه.

وإذا كان يسعدنا ما قام به المدير إذ لم يمنع المسلمات الثلاث من الاحتفاظ بحجابهن داخل الصف، فإنه يحزننا ما تقوم به دول عربية بمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب داخل الصفوف التي يعلّم فيها معلمون رجال!

لقد روى لي مدرس تربية إسلامية في دولة عربية أنه سمح لطالباته بارتداء الحجاب داخل الصف باعتبار المادة «التربية الإسلامية»، فاستدعاه مدير المدرسة لما علم بذلك، وزجره، وتوعده، وهدده بالفصل إذا تكرر منه ذلك، وكان مما قاله المدير للمدرس: «بدك تخرب بيتي وتوديني للتحقيق»؟!.

هكذا يُنزع الحجاب عن رؤوس الطالبات داخل الصفوف في بلدان دينها الإسلام، وهناك في بلدان نظامها علماني تُحمى المحجبات داخل الصف.

لاشك أنه في مقابل هذه الحماية في الدانمرك افتقدت تلميذات محجبات في بلدان أوروبية أخرى هذه الحماية وتعرّضن لحملات وضغوطات مختلفة.

تبقى وقفة مع هؤلاء المجاهدات الثلاث اللواتي حافظن على حجابهن وسط انحلال طاغ، وحرب شعواء، لنرسل إليهن تحية احترام وتقدير مع دعوات لهن بالثبات.

وكلمة أخيرة إلى السافرات من بنات المسلمين: لعل تمسك هؤلاء الصغيرات الثلاث بحجابهن في المجتمع الدانمركي يثير في نفوسكن شيئاً من الغيرة، وفي عقولكن شيئاً من التفكر، لتكون بداية لالتزامكن بما أمركن به الله.. وأنتن في مجتمعات مسلمة.

إتمام الإسلام.. دعوة للإيمان

لن يجزم بقدرته على إتمام أمر إنسانٌ يمكن أن يوافيه أجله قبل ذلك.

حتى وإن أتم ما أعلن أنه سيتمّه فإنه لا يملك أن يجعل ذلك قبيل وفاته.

يصعب هذا إذا كان تأليفاً أو بحثاً أو دراسة، فكيف إذا كان منهجاً يشمل الحياة كلها على هذه الأرض: أسرةً واجتماعاً وسياسةً واقتصاداً؟ إنه مستحيل على بشر مجتمعين فكيف يكون على فرد واحد؟!

لقد تعددت الآيات القرآنية التي يخبر الله سبحانه فيها بأنه سيتم نعمته، نعمة الإسلام:

* ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ (البقرة: ١٥٠).

* ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ (المائدة: ٦).

* ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ (الفتح: ١-٢).

* ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة: ٣٢).

* ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف: ٨).

ثم بعد هذه الآيات كلها، وقبيل وفاة النبي ﷺ ينزل قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة: ٣).

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ﴾: أي بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم إذ قلت: ﴿ ولأتم نعمتي عليكم ﴾[١].

ويقول - يرحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وذلك أن النبي ﷺ حين كان بمكة لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن حج، فلما حج وكمل الدين نزلت هذه الآية[٢].

ولقد أدرك عمر - رضي الله عنه - حين نزلت هذه الآية أنها تعني دنو أجله ﷺ فبكى، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال له النبي ﷺ: «صدقت»[٣] وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد ثلاثة أشهر تقريباً من نزول هذه الآية.

إن التأمل في هذا يزيد المؤمن إيماناً بربه ونبيه ودينه، ويحث غير المؤمن على المراجعة، مراجعة عدم إيمانه بهذا الدين الحق ورسوله ﷺ.

لقد قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم: «فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف البيت من غير جوار أحد»، ويشهد

---

(١) القرطبي: ج ٦، ص ٦٢.
(٢) القرطبي: ج ٦، ص ٦١.
(٣) نفسه.

عدي الذي رأى وعد النبي ﷺ يتحقق فيقول: «فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد»(١) .

وأرجو أن يلاحظ القارئ ما لاحظته من اشتراك بين آية البقرة التي يعد الله تعالى فيها بإتمام النعمة وآية سورة المائدة التي يعلن فيها سبحانه إتمام هذه النعمة، لقد تكرر في الآيتين أمره تعالى للمؤمنين ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾، يقول تعالى في آية البقرة: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾، ويقول في آية المائدة: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فكأنما إتمام النعمة يطمئن المؤمن فلا يخشى أحداً من الناس، إنما يخشى الله وحده، يقول القرطبي: «الخشية أصلها طمأنينة في القلب تبعث على التوقي، ومعنى الآية التحقير لكل من سوى الله تعالى، والأمر بإطراح أمرهم ومراعاة أمر الله تعالى».

ومع هذا فثمة اختلاف طفيف بين الأمر بخشيته سبحانه في الآيتين، ففي آية البقرة جاء الأمر بقوله سبحانه: «واخشوني» بالياء، وجاء الأمر في آية المائدة دون ياء «واخشون» فكأنما تمام النعمة، وقد رآه المؤمنون واقعاً، يجعل خشيتهم لله أقرب وأقصر طريقاً.

يبقى أن نتأمل الكلمتين الأخيرتين من آية البقرة لأنهما تدعوان إلى ما حرصت هذه التأملات عليه ودعت إليه: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، أجل «ولعلكم تهتدون»، فإن تمام النعمة ينبغي أن يكون سبباً في اهتداء كل إنسان إلى أن الإسلام هو الحق.. وما بعد الحق إلا الضلال.

---

(١) مسند الإمام أحمد.

يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم

يقول الله تعالى في سورة النمل :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل : ١٧ ـ ١٨) .

تذكرتُ هذه الآية الكريمة وأنا أقرأ خبراً عن كتاب من ثلاثة أجزاء عنوانه «ثورة النمل» لمؤلفه الفرنسي برنار فربار المتخصص في علوم دراسة الحشرات والمعلّق العلمي في مجلة «نوفال أوبزفاتور» الأسبوعية .

لقد أثار كتابه هذا ضجة غير مسبوقة في حين أعلن عن تصحيحه مواقف خاطئة عن كائنات تعيش في «مجتمع منظم بدون جنرالات ورجال شرطة ، ولاتحتاج إلى الأكاديمية الفرنسية لكي تستمع لها» على حد قوله في كتابه .

يتحدث فربار عن مجتمع النمل الذي درسه منذ صباه وتخصص فيه باحثاً علمياً في الحشرات قائلاً : (يعتبر النمل من أقدر الحيوانات على التكيف مع ظروف المحيط الذي يعيش فيه ، إذ يستطيع تحسين حياته بشكل يبعث على الدهشة ، ويؤكد روحه الاجتماعية) .

(وتتجسد هذه الحقيقة في نظره في تمكن النمل من بناء أحياء تستوعب أكبر

عدد ممكن من الأفراد، وتكمن قدرة الأذكى عنده في الانفراد ببناء أكبر مدينة ممكنة، إن قدرة التنظيم عند النمل عجيبة، والعلاقات الاجتماعية عنده في تطور مستمر، وإذا كانت باريس وضواحيها تجمع حوالي ١٥ مليون ساكن، فإن أي منملة «قرية نمل» تحتوي على أكثر من ٥٠ مليون نملة، ولا أثر في هذه القرية لازدحام أو تلوث أو مشاكل أمنية واجتماعية، وفي تقديري: هذه الحقيقة تثبت أن النمل وجد حلولاً ناجعة لواقعه أكثر فاعلية من حلول الإنسان).

ويستمر الباحث فربار مؤكداً سحر التنظيم الاجتماعي الذي ينفرد به مجتمع النمل قائلاً: (إن إمكانية طرح أفكار متوافرة للجميع، وحركة مرور النخبة مضمونة في كل الحالات، وكل نملة لا تتردد في تقديم مقترحات للجميع، وإذا وجدت نملة ما مصدر غذاء، فإنها تخبر الجميع للذهاب معها: «النمل يستعمل ما يسمى بـ«ذكاء النمل» كما يستعمل الإنسان الذكاء البشري، ومقارنة بقيم النمل أعتقد أننا نظهر سُذجاً، إننا نقول عادة - من وجهة نظر علمية - إن الذكاء يقوم على الذاكرة والتكيف والتخيل، والنمل الذي لا يتوافر على الكتب وأشرطة الفيديو والاسطوانات (أي على وسائل وأدوات تخزين الذاكرة) ليس في حاجة لهذه الأدوات لمواجهة حشرات سامة أخرى وتفادي خطرها وحماية الأجيال المقبلة من النمل، إن الإنسان صنع القنابل النووية، لكنه لم يضمن حماية الأجيال القادمة من الإشعاعات القاتلة، إن الإنسان غير قادر على التكيف مع حالات التسمم).

ويستطرد الباحث فربار كاشفاً عن قدرات مذهلة لدى النمل شارحاً أن التكيف خاصية فريدة من نوعها عنده، وبفضلها يؤكد النمل وعيه بالخطر وبضرورة تفاديه في الوقت المناسب، وحينما ترتكب نملة خطأ مثلاً وتبني بيتاً على منحدر زلق، فإن باقي النمل يهرع نحوها ليحذرها من مغبة الاستمرار في المشروع، الأمر الذي يثبت أن النملة تستفيد من أخطائها خلافاً لحالات كثيرة

تؤكد العكس في حياة الإنسان ، (وفي إيطالياً مثلاً مازالت ظاهرة البناء الخطير قائمة) .

وأما التخيل الذي يعد ركيزة الذكاء الثالثة فهو قائم في حياة النمل اليومية حتى وإن كان لا يعبر عن صفة يمكن ملاحظتها من الخارج بسهولة ، وتتجسد هذه الصفة في تقدير فربار ـ كما درسها ـ في فحصه كل شيء مهما كانت قيمته والتأكد من حقيقته ، وعوض القيام بخطة نظرية ، كما يفعل الإنسان عادة فإن النمل يجرب كل ما يخطر على باله بغرض العثور على الشيء الذي يفيد حياته ، وأبرز مثال على ذلك إرساله عدداً كبيراً من النمل إلى الموقع الذي استقرت فيه مجموعة على مقربة من الجدول لمعرفة مدى خطورة الإقامة واحتمال الغرق ، وتدوم هذه العملية عدة أسابيع ترسل خلالها مجموعة أخرى تقوم بحفر نفق يمكّن الجميع من المرور دون الوصول إلى الجدول .

والجميل في تجربة فربار العلمية أنها لا تخلو من الطرافة موازاة لطابعها العلمي الصرف ، ويقول في هذا السياق إنه قضى ساعات طويلة لما كان طفلاً يتابع سلوك النمل ، ولما كبر وقع في أسر نمط حياته ، واحتفظ بمستعمرة من النمل في منزله لمدة سنة بهدف مراقبته يومياً ، وحدث أن استيقظ مبكراً ووجد عدداً غير قليل منه في سريره : «مع مرور الوقت أصبحت أتعرف على هذه النملة أو تلك تحت وطأة العادة»[1] .

ولو تأملنا كلمات فربار وبخاصة قوله : «إن التكيف خاصية فريدة من نوعها عنده ، وبفضلها يؤكد النمل وعيه بالخطر وبضرورة تفاديه في الوقت المناسب» لوجدناه وكأنه يشرح ما جاء على لسان النملة في القرآن :

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٧٢٠٩ .

ليت من يعرف هذا العالم الفرنسي، أو من يستطع الوصول إليه ، ينقل إليه ما جاء في القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، عسى الله أن يشرح صدره للإسلام .

هكذا نجحتُ !

ـ (ساعدني ذكائي في نجاح تجارتي، وعرفتُ كيف أستثمر أموالي أفضل استثمار، إذ كنتُ أحرص على اختيار الفرص المتاحة، وأنجح في استغلالها والاستفادة منها أبلغ استغلال وأعظم استفادة، حتى صرت اليوم تاجراً كبيراً، وثروتي تصل إلى خمسمائة مليون دولار).

ـ (كنت متفوقاً منذ الصغر، وكان ترتيبي الأول على جميع زملائي في الفصل، منذ السنة الابتدائية الأولى وحتى آخر سنة في الجامعة التي تخرجت فيها بتقدير امتياز، ويعود الفضل في هذا كله إلى تنظيمي وقتي، ومثابرتي، وجدي).

ـ (ربيت أبنائي السبعة أحسن تربية، وحرصت على تعليمهم أفضل تعليم، حتى تخرجوا جميعاً، فكان منهم طبيبان، وثلاثة مهندسين، ومدير شركة، ومحام ناجح، وأنا أفخر بهذا وأعتز، وأراه ثمرة جهدي معهم، وتوجيهي لهم، ومتابعتي المتواصلة لمختلف شؤونهم).

هؤلاء الثلاثة الذين تحدثوا عن نجاحهم في حياتهم، الأول تحدث عن نجاحه في تجارته، والثاني عن تفوقه في دراسته، والثالث عن تعليمه أولاده السبعة، الذين تخرّجوا جميعاً في الجامعة.

والخطأ المشترك الذي وقع فيه هؤلاء جميعهم هو أنهم ردوا الفضل إلى أنفسهم فقط، ولم يردوه إلى الله سبحانه وتعالى صاحب الفضل الأول، فكانوا تماماً مثل قارون الذي قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾، فجاءه الرد على الفور: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨).

وها هي آيات سورة الزمر تؤكد خطأ هؤلاء: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٩-٥٠).

قال القرطبي في آية القصص: (أوتيته على علم من عندي بوجوده: التجارة والمكاسب، ولم يعلم أن الله لو لم يسهل له اكتسابها لما اجتمعت عنده).

ويقول سيد قطب: (إنما أوتيت هذا المال استحقاقاً على علمي الذي طوع لي جمعه وتحصيله، فما لكم تملون عليَّ طريقة خاصة في التصرف فيه، وتتحكمون في ملكيتي الخاصة، وأنا إنما حصلت على هذا المال بجهدي الخاص، واستحققته بعلمي الخاص، إنها قولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال ويعميه الثراء، وهونموذج مكرر في البشرية، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما وحدهما سبب غناه).

ويقول - رحمه الله - في آيات سورة الزمر: (إنما أُوتيته على علم، قالها قارون، وقالها كل مخدوع بعلم أو صنعة أو حيلة يعلل بها ما اتفق له من مال أو سلطان، غافلاً عن مصدر النعمة، وواهب العلم والقدرة، ومسبب الأسباب، ومقدر الأرزاق).

وما أبلغ قوله سبحانه وأوضحه في أنه تعالى وحده معطي كل نعمة: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣). يقول الرازي - رحمه الله -: (وكل نعمة حصلت للإنسان فهي من الله تعالى لقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾).

فليصحح تفكيره واعتقاده، وليصحح لسانه وتعبيره، كل من لا يرد الفضل فيما أوتي من علم وعمل ومال وولد إلى الله سبحانه وتعالى الذي له الفضل الأول سبحانه.

يخسرون بعدم نطقهم بها

بعد أن ألقى أحمد عليهم السلام سألهم: كيف حالكم؟ رد عليه نبيل قائلاً: «زين»، بينما قال سمير: «عال العال»، وأجاب هشام: «في أحسن حال»، غير أن مازناً قال: «مش ولابد».

نظر أحمد في وجوههم جميعاً ينقّل عينيه بينهم، وقد ظهر أنه غير راضٍ عن إجاباتهم.

صار بعضهم ينظر في وجه بعض متسائلاً مستغرباً: ما به أحمد؟ لماذا يبدو غير راضٍ عن إجاباتنا؟ أيريدنا أن نتحدث بالفصحى؟ لم تعجبه إجابة كل منا بلهجة بلده المحلية؟

رأى أحمد وجوه صحبه وقد علتها الدهشة فقال لهم: هل تعلمون أن كلاً منكم أضاع عليه صدقة كانت ستسجل له في رصيد حسناته؟

تسمرت عيون الصحب في وجه أحمد الذي أثار اهتمامهم وفضولهم لمعرفة كيف أضاع كل منهم صدقة!

واصل أحمد حديثه قائلاً: لقد سألتكم عن حالكم فأجبتم إجابات مختلفة ليس بينها الإجابة التي تكسب من يقولها صدقة تسجل له في حساب حسناته.. وهي: الحمد لله.

ولعلكم تسألون: وأين الصدقة التي أضاعها كل منا؟ لقد قال النبي ﷺ في حديث شريف له: «وكل تحميدة صدقة»[1]، وأنتم تعلمون أن التحميدة هي قول: «الحمد لله».

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم عن أبي ذر ـ رضي الله عنه.

ثم إن قول «الحمد لله» إثقال لميزان حسناتكم يوم القيامة، ففي حديث آخر يقول النبي ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان»[١].

وقولكم «الحمد لله» أداء لشكر نعمة الله عليكم، كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه الحاكم والبيهقي عن جابر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ: «ما أنعم الله علىٰ عبدٍ نعمة فقال الحمد لله إلا أدىٰ شكرها، فإن قالها الثانية جدّد الله ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله ذنوبه».

أرأيتم كيف فقدتم وخسرتم حين أجاب كل منكم عن سؤالي: كيف حالكم.. بغير حمد الله تعالىٰ؟

سأل نبيل: ومتىٰ نقول الحمد لله أيضاً؟

قال أحمد: بعد كل أكلة تأكلونها، وشربة تشربونها، وبعد كل نجاح توفقون إليه، وإنجاز تعانون عليه، وبعد كل فرج من الله لكم من همومكم، وشفائه سبحانه لكم من مرض من أمراضكم.

بل حتىٰ بعد ابتلائه سبحانه لكم، فحمده سبحانه علىٰ البلاء فيه أجر لكم، كما قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، فإن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»[٢].

قال مشعل: لقد حببت إلينا عبارة «الحمد لله»، وسنجعل ألسنتنا تكررها في كل حين، نؤكد بها شكرنا لله تعالىٰ علىٰ أما أنعم به علينا، ونزيد في رصيد حسناتنا، فجزاك الله عنا كل خير.

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن صهيب ـ رضي الله عنه.

محطة تليفزيون نسائية؟

ماذا يعني؟

محطة تليفزيونية جديدة تتميز عن غيرها من المحطات بأنها محطة تليفزيون نسائية، وهذا يعني أن المحطة تديرها وتقدم برامجها نساء، وسيكون شعارها «تليفزيون للنساء.. لمن منهن؟ لكل من عندها جهاز تليفزيون».

وقالت رئيسة تحرير المحطة التي ستعرف باسم «ت. م. ٣» آنادوبك: «لسنا أناساً يملكون طموحاً غير طبيعي، فنحن نريد أن نشجع النساء حتى يُظهرن ثقة أكبر بالنفس»، وأضافت: «شعارنا: اسمه نساء، وليس نساء متعصبات لحقوقهن»[١].

هذه المحطة الخاصة بالمرأة ليست في القاهرة أو دمشق أو بيروت، إنها في إحدى مدن أوروبا، في ميونيخ، فهل يستطيع أحد أن يتهمها بالانغلاق، لابتعادها عن الرجال، واقتصارها على النساء؟

لقد ذكرت مديرة المحطة أن من غاياتها تشجيع النساء على إظهار ثقة أكبر بالنفس، وهذه الثقة - تأتي لأن المرأة تقوم بما تقوم به مستقلة عن الرجل، ويمكن ترجمة هذا بقولنا: «إن عدم الاختلاط بالرجل يمنح المرأة ثقة أكبر بنفسها».

وتؤكد آنا دوبك - مديرة المحطة نفسها - الفهم الصحيح لخصوصية المرأة حين تعلن أن شعارهن: «نساء.. وليس نساء متعصبات لحقوقهن».

فالقضية ليست قضية معاداة للرجل، وتحدٍّ له، إنما هي قضية حاجات

---

(١) جريدة «الحياة» اليومية - العدد ١١٨٧١، وجريدة «الأنباء» الكويتية، العدد ٦٩٢٨.

خاصة بالمرأة . . خير من يفهمها : المرأة .

والطريف المثير للاهتمام أن المحطة النسائية هذه ليس في موادها نشرات أخبار سياسية ، وهذا تأكيد آخر على أن اهتمامات المرأة بعيدة جداً عن اهتمامات الرجل ، مع أن رئيسة تحرير المحطة آنا دوبك كانت مذيعة أخبار في تليفزيون «آر . شي . إل» قبل أن تقرر الانتقال إلى المحطة النسائية الجديدة .

بل ها هي دوبك تعلن صراحة اختلاف المرأة عن الرجال بعبارة واضحة تقول فيها : نحن النساء نملك نظرة مختلفة عن الرجال ، فنحن ندخل في الموضوع مباشرة»(١) .

وتؤكد المعاني السابقة جميعها فتقول : «إن البرامج ستكون نسائية لكنها ليست للمطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة ، وإن معظم موظفي الشبكة الثلاثين سيكونون من النساء»(٢) .

وبعد ، فإذا كان هذا الاستقلال الإعلامي النسائي يؤكد اختلاف اهتمامات المرأة وطبيعتها عن اهتمامات الرجل وطبيعته فلماذا يعترض المعترضون على استقلال المرأة تعليمياً واجتماعياً وثقافياً؟!

لماذا يستكثرون الإنفاق على إقامة كليات ومدارس وأسواق وحدائق خاصة بالمرأة؟

لقد بلغت موازنة الخطة المعدةللمحطة النسائية ٨٥ مليون مارك في السنة . . فماذا يمنع أن ننفق على تهيئة هيئات ومناشط خاصة بالمرأة لنحفظها ونصونها؟! .

(١ ، ٢) جريدة «الحياة» اليومية ـ العدد ١١٨٧١ ، وجريدة «الأنباء» الكويتية ، العدد ٦٩٢٨ .

مثلها الأعلى «ليلى علوي»

«أحب ليلى علوي جداً، وأتمنى أن أصبح مثلها، وأنا مغرمة بكل دور قامت به، وأشاهد أعمالها لأكثر من مرة، وأحتفظ في مكتبتي بشرائط فيديو لكل أعمالها»(١) .

هذه إجابة فتاة عن سؤال وجِّه إليها ضمن مقابلة أجرتها معها صحيفة يومية(٢) وكان نص السؤال: «من هي مثلك الأعلى في السينما؟» .

وللمرء أن يدرك من خلال هذا السؤال والإجابة عنه حجم الكارثة التي حلت بكثير من الفتيات بسبب هذا الإعلام التليفزيوني والسينمائي الضال والمضل .

فهذه الفتاة تحب ممثلة حبّاً جمّاً ، إلى درجة أنها تتمنى أن تصبح مثلها ، وهي مغرمة بكل دور قامت به حتى إنها تشاهده أكثر من مرة ، وهي تحتفظ في مكتبتها بكتب ـ عفواً ـ بشرائط فيديو لكل أعمالها!

قارنوا هذه الفتاة بفتاة مؤمنة ملتزمة بدينها ، تحب نبيها محمداً ﷺ حباً جماً وتتمنى أن تصبح مثل صحابية من الصحابيات المجاهدات ، وهي مغرمة بكل موقف من مواقفها الخالدة ، ولا تمل من قراءة سيرة حياتها ، وتحتفظ في مكتبتها بأكثر من كتاب عنها .

أليس الفارق كبيراً بين الفتاتين؟ ألا نحتاج إلى أن نربي جميع بناتنا ليكُنَّ مثلها . . لا مثل تلك التي بدأنا بكلماتها؟! .

(١ ، ٢) جريدة «السياسة» الكويتية : ١٣/ ٥/ ١٩٩٨م .

ألا يدعو ذلك إلى حجب كثير مما تعرضه محطات التليفزيون، وحماية بناتنا ونسائنا وأبنائنا وأنفسنا منه؟

ألا ينبغي أن نبدل بما تعرضه هذه المحطات برامج ومسلسلات تقدم الصورة الصحيحة المشرقة لتاريخنا الإسلامي المجيد؟

لو جعلته البشرية نداءها

«لبيك اللهم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك . . إن الحمد والنعمة لك والملك . . لا شريك لك» .

أي فوز ، وأي نجاة ، وأي سعادة ، وأي أمن تظفر بها البشرية جميعها لو كان نداؤها هذا النداء ، ولو عملت بما يعنيه هذا النداء؟

«لبيك اللهم لبيك» نستجيب إليك ، فنعمل بشرعك ، ونطيع أمرك ، وننتهي عما نهيتنا عنه ، ونلتزم التوجه إليك ، والانصراف عمن سواك ، سبحانك .

أما تشقى البشرية اليوم بسبب بُعدها عن الله سبحانه واتباعها أهواءها ، وانسياقها وراء شهواتها؟

لم يجعل سبحانه في الدين من حرج ، ولم يحرم الناس من الطيبات ، ولم يمنعهم مما تميل إليه فطرهم السليمة ، ووعدهم إن هم استجابوا إليه سبحانه بالحياة الطيبة في الدنيا ، وبالجنة خالدين فيها في الآخرة ، أفبعد هذا الفضل من فضل؟ وأبعد هذا الخير من خير! .

«لبيك لا شريك لك لبيك» .

وإن إشراك غير الله بالعبادة ، وإشراك مناهج بشرية «لاشك في أنها تبقى ناقصة» بشرعه سبحانه ، لن يُخرج البشرية مما تعانيه من نكد وشقاوة وبؤس .

على البشرية أن تؤمن يقيناً أن الحمد لله سبحانه ، لأنه المالك الحقيقي لكل شيء ، مالك الملك تعالى شأنه وجل قدره ، وأنه صاحب النعم كلها ، لا الطبيعة

ولا الأرض ولا أي مخلوق كائناً من كان «إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك».

هذا هو نداء الحجيج، وهذا هو النداء الذي يجب على البشرية أن تردده، وتعيشه، وتعمل به، إن أرادت حقاً الخير لأبنائها جميعهم، والعدل بينهم، والأمن لقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم.

إنه وعد الله سبحانه، ولن يُخلف الله وعده، وعده الذي تحقق لمن عمل بهذا النداء، كما تشهد بهذا أيام كثيرة في التاريخ الإسلامي.

وهي دعوة نتوجه بها، ليس إلى المسلمين وحدهم، بل إلى الناس جميعهم: أجيبوا داعي الله تعالى، لتظفروا بحياة طيبة هانئة رغدة في الدنيا، وحياة آمنة خالدة في الآخرة.

فما أعظم السلعة.. وما أوضح الطريق إليها!.

أتى الحبيب

رمضان الحبيب أتى، وأتت معه الرحمة والمغفرة والعتق من النار، أتى معه القيام الخاشع لله سبحانه وتعالى، والأصفاد التي تُكبل الشياطين.

أتى رمضان ليقول للمسلمين المقتتلين في أفغانستان، أتصومون عن الطعام والشراب ولا تصومون عن سفك دمائكم ؟!

وللمسلمين المنصرفين عن ربهم: أما آن لكم أن تعودوا إلى بارئكم وتقلعوا عن معاصيكم، وتثوبوا إلى رشدكم، قبل أن يأتيكم ملك الموت؟!.

وللمسلمات المتفلتات: لماذا لا تجعلن من هذا الشهر الكريم بداية لالتزامكن التام بإسلامكن.. فالدنيا قصيرة مهما طالت؟!

وللآباء المنشغلين عن أبنائهم: رمضان فرصة لتكونوا مع أبنائكم، يصحبونكم إلى المساجد، ويكسبون توجيهاتكم.

وللأبناء المقصّرين في بر آبائهم وأمهاتهم: لن ينفعكم صيامكم إذا لم تبروا آباءكم وأمهاتكم وتكسبوا رضاهم عنكم.

رمضان الحبيب أتى فاذكروا الله كثيراً إذا كنتم تذكرونه قليلاً، واستحثوا هممكم لتحسنوا عبادتكم له سبحانه، واستعينوا به تعالى على ذكره وشكره جل شأنه.

أرأيتم لو كان أمامكم ثلاثون خزانة ملأى بالمجوهرات والذهب وأبيح لكم أن تأخذوا منها ما شئتم، أما كنتم أفرغتم ما فيها لتودعوه بيوتكم؟

إن أيام رمضان الثلاثين ملأى بما هو أثمن وأغلى من المجوهرات

والذهب . . أفما تعرفون من خيرات هذه الأيام من ذكر وصدقة وإحسان . . لتودعوه صحائف أعمالكم؟

بل إن ما تأخذونه من متاع الدنيا ينفد، ولا تضمنون بقاءه، وتسألون عنه: م اكتسبتموه، وفيم أنفقتموه؟ أما ما يدخره الله لنا فلا ينفد إن شاء الله:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٦-٩٧).

ويقول عز وجل: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص: ٤٩-٥٤).

كثر فضل الله فيه وطاب

أرأيتم إلىٰ من يسافرون للتجارة، يرغبون في الربح الوفير، والمال الكثير! وإلىٰ من يسافرون لحضور معارض دولية ليعقدوا صفقات شراء منتجات حديثة! وإلىٰ الذين يهرعون للشراء في مواسم التنزيلات، مستفيدن من انخفاض أسعار السلع، رغبة في التوفير!

هذا موسم خير كبير، وربح وفير، مقبل علينا، ليكفينا مؤونة السفر إليه، أفلا نُقبل عليه، نعقد فيه الصفقات الكبرىٰ، لنجني من ورائها الأرباح الوفيرة، والمكاسب الكثيرة؟

رمضان موسم أرباح وتجارة، تجارة تنجينا من عذاب أليم، كما قال سبحانه ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف: ١٠). ؟ وأرباح لاتعدلها أي أرباح، بل لا يعدل ما ربحه الناس جميعاً من أموال، منذ آدم عليه السلام حتىٰ اليوم، بل ما سيكسبونه أيضاً حتىٰ تقوم الساعة، لا يعدل جزءاً يسيراً مما يكسبه المسلم المؤمن في هذا الشهر الفضيل المبارك.

ألا يكفي أن فيه ليلة خير من ألف شهر؟! والألف شهر أكثر من ثلاث وثمانين سنة، أي أكثر مما يعيشه ملايين الناس، فهذه الليلة إذن خير من العمر كله.

ألا يكفي أنه «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغلّقت أبواب النار، وصفّدت الشياطين»؟ (متفق عليه).

ألا يكفي أنه سبحانه يغفر لمن صامه جميع ما تقدم من الذنوب «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه)، «إن الله عز وجل

فرض صيام رمضان وسننتُ قيامه، فمن صامه وقامه احتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه» (رواه أحمد).

ألا تكفي هذه العطاءات الخمس التي يحملها رمضان لصائميه: «أُعطيت أمتي في رمضان خمساً لم يُعطهن نبي قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم رائحتها حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي.. أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وُفّوا أجورهم؟» (رواه البيهقي عن جابر - رضي الله عنه).

كثر فضل الله وطاب في هذا الشهر الكريم المقبل علينا، فهلاّ أحسنا استقباله، وكسبنا ما فيه من الخيرات العظام، والمغفرة الواسعة، والأجور الكبيرة؟!.

رمضان.. وبشاراته الخمس

كيف تتلقى بشارة تقول لك: إن الله تعالى لن يعذبك أبداً؟

ألن تملأ نفسك مشاعر السعادة والفرحة والبهجة، وأنت تتلقى بشارتك بنجاتك من نار تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى؟ نار عَظُم عذابها، واشتد لهيبها، حتى إن من غُمِسَ فيها غمسة يقول: لم أر نعيماً قط!

وكيف تكون مشاعرك حين تتلقى بشارة أخرى تقول لك: إن الجنة ذات النعيم المقيم، والفرح العظيم، والتي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. إن هذه الجنة تستعد لمجيئك، وتتزين لاستقبالك، لترتاح فيها من تعب الدنيا الذي لا ينتهي، ألن تكون مشاعرك مشاعر فرح عظيم، وسرور كبير، وطمأنينة ما بعدها طمأنينة؟

وإذا علمت أن أبوين لك صالحين يستغفران لك ويدعوان، أما كنت تسعد وتفرح وتطمئن، فكيف إذا كان من يستغفر لك، وكل يوم وليلة، هم الملائكة؟

هذه ثلاث من خمس بشارات يزفها إليك حبيبك ﷺ وأنت تستقبل أيام رمضان الفضيل، أفما تحب قراءتها: روى البيهقي عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله قال:

«أُعطيت أمتي في رمضان خمساً لم يُعطهن نبي قبلي:

أما **واحدة** فإنه إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما **الثانية** فإن خلوف أفواههم (رائحتها) حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما **الثالثة** فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة .

وأما **الرابعة** فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدي وتزيني لعبادي . . أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا . . إلى دار كرامتي .

وأما **الخامسة** فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً» .

فقال رجل من القوم : أهي ليلة القدر؟

فقال : «لا ، ألم تر إلى العمال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم وُفوا أجورهم؟» .

ما أعظم هذا العطاء الرباني الكريم ، وما أحرى المؤمنين بالحرص ليكونوا ممن يشملهم ويعمهم .

أما تدفعنا هذه العطايا الخمس إلى استقبال رمضان بفرح ورغبة وسعي إليه؟

أما تجعلنا ننطلق إليه لنحسن فيه صيامنا ، ونطيل في لياليه قيامنا ، ونلتزم فيه ما أمرنا فيه ربنا ، وننتهي عما نهانا عنه سبحانه؟

أما تمتد أيدينا إلى حساباتنا في المصارف لنسحب منها ما نتصدق به على الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين؟

أهلاً بك يا رمضان . . قادماً حبيباً ، داعين الله تعالى أن نكون في أيامه مثلما يريد لنا ربنا ويرضى .

الهجرة .. ومعيّة الله

معاني الهجرة النبوية الشريفة كثيرة وعظيمة ومهمة، ويحتاج كل معنى من معانيه إلى وقفات طويلة، وفي هذه الافتتاحية القصيرة نختار معنى نحتاج إلى تأمله وتدبره ونحن نبدأ عاماً هجرياً جديداً.

حين كان النبي ﷺ مع صاحبه الصديق في الغار، والقوم الذين جاؤوا يريدون قتله عليه الصلاة والسلام قد صاروا قريباً جداً من باب الغار، قال الصدّيق للنبي ﷺ: لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا! فرد عليه النبي ﷺ ردا حفظه القرآن فيما بعد، في غزوة تبوك، ليذكره الناس بعد ذلك إلى يوم القيامة. رد النبي ﷺ على الصديق بقوله: «يا أبا بكر.. ما ظنك باثنين.. الله ثالثهما»؟

لقد ذكر الله سبحانه المسلمين بنصره نبيه قبل تسع سنوات من غزوة تبوك التي نزلت فيها هذه الآية:

﴿إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الْغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

«إلا تنصروه» أي إن تركتم نصرة رسول الله ﷺ فالله متكفل به، «فقد نصره» في مواطن القلة، وأظهره على عدوه بالغلبة والقهر، أو: فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد وقت إخراج الذين كفروا له «ثاني اثنين».

«إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» ومن كان الله معه فلن يغلب، ومن لا يغلب فيحق له ألا يحزن.

إن معية الله واحدة من معاني الهجرة العظيمة ، معية عظيمة كبيرة ، بعظم وكبر الله سبحانه وتعالى ، فكيف لا تسكب في النفس الرضا ، ولا تملأ القلب بالطمأنينة؟! «فأنزل الله سكينته عليه وأيدّه بجنود لم تروها» .

إنها معية يستطيع الظفر بها كل مؤمن يكون مع الله جل شأنه . ويكون المؤمن مع الله إذا كان دائماً حيث أراده . فهو سبحانه مع عبده المؤمن إذا كان صابراً : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (البقرة : ١٥٣) . وإذا كان تقياً ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة : ١٩٤) ، وإذا كان محسناً : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (البقرة : ١٩٤) . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ (النحل : ١٢٨) .

هذه هي المعية التي يهون بها كل صعب ، ويقرب كل بعيد ، ويصبح بها يسيراً كل عسير ، ويصير عذباً كل مر .

معية أدركها كل نبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى ، وها هو موسى عليه السلام يرد بها على من حسب أن فرعون وجنوده سيدركون موسى والمؤمنين معه : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ (الشعراء : ٦١-٦٢) .

نقص خطير في الثقافة الصحية

الثقافة الصحية ضرورة حياتية ينتج عن غيابها خسائر كثيرة، فالجهل بأسباب الأمراض قد يعرّض المرء للإصابة بها، وعدم معرفة أعراض مرض ما يؤخر اكتشاف الإصابة به، فتزيد خطورته ويصعب علاجه، وعدم الإحاطة بطرق العدوى من مرض ما، ومن ثم عدم تجنبها، يعجل في انتقال المرض إلى الآخرين وانتشاره.

ومن هنا فإن نشر الثقافة الصحية، عبر وسائل الإعلام المختلفة، عمل مهم اقتصادياً، مثلما هو مهم صحياً واجتماعياً، وأهميته هذه تجعله واجباً ينبغي العمل به.

ومن المؤسف أن مجلات أسبوعية وشهرية لا تتجاوز مساحة ما تنشره من ثقافة صحية صفحة أو صفحتين، على الرغم من أن صفحاتها تتجاوز المائة أحياناً، بل إن بعضها لا يخصص أي صفحة لهذه الثقافة المهمة، بينما تملأ كثيراً من صفحاتها بلقاءات وأخبار ومقالات عن التمثيل ورجاله ونسائه!

حتى وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتليفزيون فإن نسبة ما تخصصه من وقت للبرامج الصحية قليلة جداً قياساً إلى الحاجة الماسة إليها، وبخاصة أن كثيراً من المحطات الإذاعية والتليفزيونية تبث على مدار الساعة.

ولقد أظهر مسح لـ«حملة بحوث السرطان» ـ وهي إحدى المؤسسات الخيرية البريطانية ـ أن أكثر من نصف الرجال و٣٠ في المائة من النساء يعتقدون أنه يمكن التقاط هذا المرض ـ أي السرطان ـ بالعدوى! وقد علق البروفيسور غوردن ماكفي، المدير العام لهذه المؤسسة، أن (المقلق جداً هو أن هناك كثيراً من الأساطير

بشأن السرطان مازالت قائمة، ونحن ندخل في الألفية الثالثة، فكثير منا مازالوا يعيشون في العصور المظلمة).

ويضيف: (هذه ردة نحو القرن الماضي عندما كان زوار المستشفيات يخافون من أن يزوروا أقاربهم المرضىٰ بالسرطان).

ويعتقد البروفيسور ماكفي (أن المسح يبرز الحاجة إلىٰ تعليم الناس بصورة أفضل أسباب السرطان وصلته بأسلوب الحياة، لاسيما الرجال).

وإذا كان هذا الجهل بمرض واحد شهير، فكيف هو بأمراض أخرىٰ كثيرة، وإذا كان هذا المستوىٰ من الجهل في بريطانيا.. فكيف هو في بلادنا العربية والمسلمة؟!.

لاشك في أن الحاجة ماسة إلىٰ تدارك الأمر بالعمل علىٰ إعداد استراتيجية إعلامية صحية شاملة.

أمريكا تعوِّض بعشرات الآلاف وتركيا تعاقب عشرات الآلاف!

ألا تتألمين حين تجدين والدة زميلتك أرأف بك من والدتك؟ ألا يُحزنك عطف والدة زميلتك عليك في الوقت الذي تقسو فيه والدتك؟!

إنك تتمنين لو أن هذا العطف وتلك الرأفة كانا من والدتك، فهي التي أنجبتك ورعتك.

هذا مثل لما يحدث في بعض بلدان المسلمين وبعض بلدان غيرهم، ففي الوقت الذي تحارب فيه الحجاب قوانين ظالمة في بلد مسلم نجد قوانين في بلد غير مسلم تنصف المحجبة وتحفظ لها حقها في ارتداء ما تشاء.

ففي تركيا مثلاً تمنع قوانين الدولة الفتاة المحجبة من دخول قاعات الجامعات، وتحرمهن من تقديم الامتحانات فيها، وتمنع حتى النائبة في البرلمان من دخول قاعته بالحجاب، في الوقت الذي نجد فيه مسلمات في الولايات المتحدة الأمريكية يحافظن على حجابهن بكل حرية، بل يحصلن على تعويض من المحكمة حين ينالهن الأذى بسبب الحجاب.

فقد نقلت وكالة الأنباء الكويتية «كونا» عن منظمة إسلامية أمريكية أن محكمة قضت بتعويض مسلمتين اعتقلتا عام ١٩٩٧م بمبلغ مالي قيمته ١٢٥ ألف دولار.

وقال بيان صدر عن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية: إن هيئة المحلفين بمحكمة بورتسموث وقفت إلى جانب المنقبتين على أساس أن الشرطي الذي اعتقلهما لم يطبق القانون بصورة صحيحة.

وصرح مكتب المدعي العام لولاية فرجينيا أن الشرطي أخطأ الفهم حين اتبع قانوناً قديماً وضع للحد من نشاط جماعة «كوكلس كلان» العنصرية التي يضع أفرادها أقنعة بيضاء تغطي وجوههم مما يجعل تغطية الوجه في الأماكن العامة أمراً مخالفاً للقانون.

وأشار بيان المجلس إلى أن ضابط الشرطة جون واكر قد ادعى أن نجلاء دوران وشيرما همفري انتهكتا القانون بارتداء أقنعة في مكان عام، ونقل البيان عن الفتاتين قولهما إن الشرطة تعدت عليهما بحثاً عن أسلحة إضافة إلى سجنهما دون تهمة.

وكانت دوران وهمفري على وشك دخول متجر حين أوقفتهما شرطة بورتسموث وأبلغتهما عدم تمكنهما من دخول المتجر لأن وجهيهما مغطيان[1].

هل يمكن لأي محكمة في تركيا أن تحكم بتعويضٍ ما لآلاف المحجبات اللواتي يُنزع حجابهن بالقوة، أو يُمنعن من دخول قاعات الدراسة، أو يُحرمن من تقديم الامتحانات؟!

إن المحاكم في تركيا لا تملك إلا أن تحكم بسحب الجنسية من المواطنات التركيات المسلمات الملتزمات بارتداء الحجاب، وفصلهن من العمل، وحرمانهن من الدراسة.

ولو كانت هذه المحاكم تملك أن تحكم بتعويضات لهؤلاء الملتزمات لكانت مبالغ التعويضات بمليارات الدولارات!.

وتنقل الأنباء أن خسائر الزلازل في تركيا تقدر بعشرات مليارات الدولارات..!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) وكالة الأنباء الكويتية «كونا»: ٢٣/ ٦/ ١٤٢٠هـ-٣/ ١٠/ ١٩٩٩م.

الداعية إذا تزوجت !

تكون الفتاة الملتزمة شعلة في الدعوة إلىٰ الله، وتحبيب أوامره للقلوب، وتكتب بعاطفة صادقة مشبوبة، وتدعو بلسان يأسر النفوس، ويقنع العقول، حتىٰ إنها لتكسب داعيات جديدات، يقتبسن منها ويحذون حذوها.

وتتزوج هذه الفتاة، فإذا بها تنزوي في بيتها، ويخفت صوتها، وتفتقدها أخواتها، تعتذر منهن إذا دعونها إلىٰ لقاء، وتتوارىٰ عنهن إذا صادفنها في الطريق.

ولقد تكرر هذا حتىٰ أطلقت المسلمات علىٰ الزواج «مقبرة الداعيات»، وصرن «يشيّعن» المتزوجة إلىٰ بيتها بدلاً من «زفّها» إليه.

فما السر في هذا الانقلاب؟ وهل هو طبيعي مقبول؟ أم أنه شاذ مرفوض؟

علينا أن نقرّ أن حال فتاة ليس عليها مسؤوليات تجاه زوج وأولاد، وتبعات بيت، يختلف عن حال زوجة تحمل هذه التبعات وتلك المسؤوليات.

ومن ثم فإن من الطبيعي أن ينقص عطاء الفتاة لدعوتها خارج بيتها بعد زواجها، وأن يقل الوقت الذي تمضيه مع أخواتها الداعيات، وأن تغيب كتاباتها الحماسية أو تضعف نبرتها وتخفت حرارتها.

لقد أصبح للفتاة بعد زواجها رسالة ليست هيّنة، رسالة جليلة خطيرة، تسعىٰ من خلالها لتأسيس خلية صالحة من خلايا المجتمع المسلم، خلية ترعىٰ فيها زوجاً، تكون له سكناً، وتربي فيها أطفالاً، تكون لهم راعية ومرشدة ومعلّمة. فهل يمكن لمن هذا شأنها وحالها أن تستمر في عطائها القديم؟ هل نتهمها بالهروب، والتخلي عن الدعوة؟ ومفارقة أخواتها الداعيات؟

علينا ألا نطالبها بعطائها الذي كان قبل الزواج قدراً وحماسة، وعلينا أن نقدر انشغالاتها بزوجها وأولادها وبيتها، وعلينا ألا نهوّن من مسؤولياتها الجديدة وأعبائها التي لم تكن تحملها من قبل.

لكن هذا لا يعني أبداً تبريرنا انصرافها عن أخواتها، أو مقاطعتها لهن، أو تراجع التزامها بدينها، وضعف تطبيقها أوامره.

بل لعل استقرارها، الذي أثمره زواجها، يساعدها على مواصلة دعوتها بطمأنينة أكثر، وراحة نفسية أفضل، وربما مساندة من زوجها إذا كان ملتزماً مثلها.

كما أن استقلالها عن أهلها في بيت هي ملكته، يساعدها في دعوتها، ويمنحها فرصاً ربما لم تكن تتوافر لها في بيت أهلها.

ولعل إنفاق زوجها عليها يكفيها عملها خارج بيتها، فيعينها على اتخاذ قرار الاستقالة، وهذه الاستقالة تمنحها وقتاً كان يأخذه عملها منها، فتجعل لدعوتها نصيباً من ذاك الوقت الذي كسبته بترك عملها.

وعليه فإن المرجو من الداعية التي تتزوج أن تحرص على ما يلي:

١ - أن تقوّي التزامها بدينها، لأن زواجها يحصّنها ويعفّها ويقطع الطريق على وساوس إبليس بالتبرج وإظهار الزينة أمام غير المحارم.

٢ - على الرغم من أن واجباتها ومسؤولياتها تجاه زوجها وأولادها، تأخذ كثيراً من وقتها وطاقتها، فإن تنظيمها أعمالها يساعدها على توفير قدر من الوقت، وإعطاء شيء من الجهد لدعوتها.

٣ - زياراتها واستقبالاتها، لغير الأهل والأقارب، يمكن أن تبقى لأخواتها في الله، تواصل من خلالها دعوتها إلى الله، وعملها في سبيله بالتشاور والتحاور مع أخواتها، واستكمال دراسة ما وضعنه من برامج.

٤ ـ تفاهمها مع زوجها يساعدها على إقناعه بأهمية الدعوة وفضلها وبركتها، ويجعله من ثم يساندها ويحثها على مواصلة عملها الدعوي، ويقدر بعض انشغالها عنه (زوجها)، وغيابها قليلاً عن البيت.

٥ ـ على أخواتها الداعيات، من جهتهن، ألا يقطعن المتزوجة وإن بدأتهن بالقطيعة، وأن يزرنها وإن قصّرت في زيارتهن، وألا يلمنها ويعتبن عليها كثيراً فيُعِنَّ الشيطان عليها.

لتعذرها أخواتها، ويخففن عليها في بداية زواجها، دون أن ينسحبن من حياتها، ويبتعدن عنها.

ابن الـ ١٨

يعتدي على ابنة الـ ٥٥

«لم يتمالك ابن الثامنة عشرة نفسه وهو يشاهد جارته العجوز (٥٥ سنة) نائمة في فراشها فأخذ يتفحص جسدها بنظرات شهوانية فأسرع إليها وهجم عليها كالذئب محاولاً اغتصابها، واستيقظت العجوز مرعوبة وهي تشاهد جارها الصغير يحاول افتراس جسدها، وبعد لحظات من الدهشة أخذت تصرخ مستغيثة بالجيران الذين أنقذوها.

وفي قسم الشرطة اعترف الشاب بجريمته وقال إنه معتاد على التردد على جارته لخدمتها، ويوم الحادث وجد الباب مفتوحاً فأراد الاطمئنان عليها، وعندما دخل وجدها نائمة في فراشها فسولت له نفسه الاعتداء عليها»[(١)] .

هذا الخبر الذي نقلناه بنصه المنشور في جريدة «الوطن» الكويتية بعث به مراسلها في القاهرة، أي أن الجريمة السابقة وقعت في بلد عربي، وليس في بلد من البلدان الغربية التي سبقنا أبناؤها في اغتصاب النساء الشابات والعجائز.

لو التزم ذاك الشاب بالاستئذان الذي أمر به الإسلام لما وقع ما وقع.

يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (النور: ٢٧).

فلو استأذن الشاب (الذي وصفته الجريدة بـ«الجار الصغير»!) وطرق الباب قبل دخوله لاستيقظت المرأة ولما رآها كما رآها.

---

(١) جريد الوطن الكويتية، ٥/ ١١/ ١٤١٩هـ-٢١/ ٢/ ١٩٩٩م.

ومن أحاديثه ﷺ في الاستئذان :

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «الاستئذان ثلاث ، فإن أُذِنَ لك وإلا فارجع» (متفق عليه) .

وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما جُعِل الاستئذان من أجل البصر» (متفق عليه) .

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : «من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حلّ لهم أن يفقؤوا عينه» (أخرجه مسلم) .

ولقد جاء في اعتراف الشاب في قسم الشرطة أنه «معتاد التردد على جارته لخدمتها» ، وهذه خلوة نهى الإسلام عنها أيضاً ، ولعل الشاب حدث نفسه بما أقدم عليه حين كان يتردد على جارته ، حتى إذا وجدها نائمة أغواه الشيطان بما أغواه .

ولم يمنع الشاب من أن المرأة تكبره بسبع وثلاثين سنة من محاولتها اغتصابها ، وفي هذا رد على من يهوّنون من أخطار اختلاط الرجال بالنساء ، ودخول الرجال عليهن ، بمثل قولهن : «إنها مثل أمه» ، أو «إنه مثل ابنها» .

لين كلام في غير محله

بعض جداتنا وأمهاتنا حين يتحدثن من وراء الباب، أو عبر الهاتف مع رجل غريب، يتعمدن تخشين أصواتهن، واختصار كلماتهن، ومنهن من تعض على منشفة أو طرف ثوب زيادة في إبعاد أي رقة أو نعومة عن أصواتهن.

وسبب فعلهن هذا عائد إلى حرصهن على التزام أمره تعالى للمسلمات:

﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب: ٣٢).

ومعنى الآية واضح وهو أن الله تعالى يأمرهن بأن لا يُلِنَّ القول عند مخاطبة الرجال حتى لا يطمع فيهن من في قلبه فجور، بل يقلن قولاً معروفاً عند الناس، بعيداً عن الريبة.

والاعتداءات التي تتعرض لها الفتيات والنساء نتيجة هذا الخضوع في القول كثيرة كثيرة، و«ريان ماك أوين» واحدة من هؤلاء الفتيات، خسرت حياتها بسبب نعومة في الحديث فهمها شاب فهماً آخر.

تفاصيل الجريمة نشرتها جريدة «الأنباء» الكويتية تحت عنوان «أساء تفسير رقتها وعذوبتها واعتقد أنها لقمة سائغة».

كانت «ريان أوين» - ٢٢ سنة - التقت شاباً في مثل عمرها يدعى «ريموند إيليس» فيما يشبه المقهى، غير أن ريان تصرفت برقة زائدة، وأبدت قدراً كبيراً من المودة تجاه الشاب الذي حسبها رغبة من الفتاة فيه، فعرض عليها أن يرافقها إلى بيتها القريب سيراً على الأقدام، وفي الطريق حاول ريموند معاشرتها، فصدته ريان، فقام بقتلها.

يقول المدعي الجنائي «وليام كوكر» : في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً سُمعت صرخات ريان في حديقة ريسكورت، ولما أسرع بعض السكان إلى المكان وجدوا جثتها وقد مُزقت ملابسها، وأكد الطبيب الذي فحص الجثة أنها ماتت نتيجة خنقها أثناء اغتصابها عنوة.

حامت الشبهات حول ريموند إيليس الذي انصرف مع ريان في تلك الليلة، غير أنه ادعى أنهما انفصلا في الطريق بعد خروجهما معاً، وظل ريموند ينتقل من أكذوبة إلى أكذوبة طوال فترة استجوابه التي استغرقت شهوراً منذ وقوع الجريمة.

اعتمد المحققون الأدلة العلمية والتحاليل، ومنها تحليل بقعة دم على ملابس ريموند، وكانت تحمل مواصفات البصمة الوراثية الخاصة بالمجني عليها، فلم يجد ريموند مهرباً واعترف بجريمته.

حكم القاضي بسجن المجرم مدى الحياة، وقال له: «لقد ائتمنتك هذه الفتاة على نفسها حتى ترافقها إلى بيتها آمنة فاعتديت عليها واغتصبتها ثم قتلتها بلا رحمة، لذلك فإنك تستحق السجن بقية حياتك».

أما كان يستحق القتل؟

بلى يستحقه.

ولن تتوقف هذه الجرائم، ولن تنخفض نسبها مادام القصاص من المجرمين مفقوداً، ومادام الناس يأتون ما نهى الله عنه، فإضافة إلى لين الكلام (الخضوع في القول) كانت مرافقة الفتاة شاباً غريباً في الساعة الحادية عشرة ليلاً في مقدمة أسباب هذه الجريمة.

لتحقيق المساواة: المرأة تحبل سنة والرجل يحبل سنة

رغم الحجة الواضحة، والمنطق المقنع، فإنك تعجز أحياناً من إقناع امرأة بحقيقة ما، حتى تحار في الأسلوب الذي تحاورها فيه، وتكاد تشعر بالعجز في إفهامها ما هو سهل مفهوم . . فماذا تفعل؟

الشيخ الجليل والأديب الأريب علي الطنطاوي ـ يرحمه الله ـ خاض معركة ـ كما سمّاها ـ مع امرأة مؤمنة بالمساواة التامة بين المرأة والرجل، ولم تنفع معها الأدلة والبراهين العقلية والنفسية والواقعية التي ساقها إليها، فلم تقنع، فبم يرد عليها شيخنا الأديب ـ يرحمه الله ـ؟

تعالوا نقرأ إشارته إلى هذه المرأة وكيف رد عليها، كما جاءت في مذكراته التي صدرت بعنوان «ذكريات» في الصفحة ٢٢ من الجزء الثالث:

«ومن المعارك الصغيرة معركة كانت في تلك الأيام بيني وبين (ماري يني) وهي أديبة فلسطينية أو لبنانية (لم أعد أتذكر) وأظن أنها كانت صاحبة مجلة نسائية، وكان موضوع المناظرة أو المعركة المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، جادلتها بالتي هي أحسن، وسقت لها الأدلة والحجج، فلما رأيت أن ذلك كله لم يفد معها، ملت إلى السخرية، فقلت لها: (والمقالة منشورة في صحيفة ألف باء):

(الآن حصحص الحق وتبين أني أنا المخطئ وأنت المصيبة، والدنيا لا تخلو من المصائب، لذلك أرجع عما قلت إلى ما قلت أنت، وسأعد عريضة وأقف في رأس سوق الحميدية، وأوقعها من الرائح والغادي، وأرفعها إلى الحكومة، لتأمر بتحقيق هذه المساواة الكاملة، وتصدر قانوناً مستعجلاً، يلزم الزوج أن يحبل سنة وتحبل المرأة سنة، ويرضع هو الطفل سنة وترضع هي سنة، إذ لا يعقل، ولاتتحقق المساواة بأن يعملا معاً في الإدارة أو في المصنع، ويحمل كل منهما على عاتقه نصيبه من العبء وتحمل هي فوقه في بطنها ما لا يحمل في بطنه مثله . .).

مشاهد سئموا منها

بيّن استطلاع للرأي أن معظم المشاهدين الفرنسيين سئموا من مشاهد العنف والجنس التي يعرضها التليفزيون .

وذكر التقرير الذي أعده معهد إيفوب للاستطلاعات أن ٨٨٪ من المشاهدين يعتقدون أن التليفزيون يعرض مشاهد عنف أكثر من اللازم ، وقال ٥٣٪ إنهم يشعرون أن التليفزيون يعرض مشاهد جنس أكثر من اللازم ، وكان أكثر المنتقدين للعنف من السيدات والمسنين .

وقال التقرير : إن ١٩٪ من المشاهدين يقبلون حرمانهم من التليفزيون مدة عام ، وإن في إمكان ٧٢٪ منهم الابتعاد عنه مدة أسبوع[1] .

ـ إذا كان ٨٨٪ من الفرنسيين يرون أن التليفزيون يعرض مشاهد عنف أكثر من اللازم ، ومن ثم فهُم غير راضين عن هذه المشاهد ، فماذا ينبغي أن تكون نسبة المسلمين غير الراضين عما يُعرض من عنف على شاشات التليفزيونات العربية؟ وما نسبة المسلمين غير الراضين عن عرض مشاهد الجنس إذا كان أكثر من نصف الفرنسيين لا يرضون عنها؟! .

إذا كان غير الراضين في بلد اشتهر بالانفتاح الاجتماعي المطلق (يصفه بعضهم بالتحلل) بلغوا هذه النسب المرتفعة ، أفما ينبغي أن تكون نسبة غير الراضين في بلاد يدين أهلها بدين العفة والطهر قريبة من ١٠٠٪ ؟! .

لماذا كان أكثر المنتقدين لتلك المشاهد من النساء والمسنين؟ لأن المرأة عامة ،

---

(١) وكالة أنباء «رويترز»

تحرص على أن ينتشر السلام في بيتها أولاً، ومجتمعها ثانياً، وتلك المشاهد تبدد السلام الذي تنشده وتسعى إليه.

أما المسنون فلأن عقولهم الناضجة هي التي تحكمهم، وليست غرائزهم التي انطفأت أو هدأت، ومن ثم فهم أقرب إلى الصواب والسداد.

ولهذا ينهى القرآن الكريم عن اتباع الشهوات والأهواء، ويذم متبعيها:

﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ (النساء: ٢٧).

﴿ ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ (المائدة: ٧٧).

﴿ ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: ١٨).

وإن السماح بعرض تلك المشاهد إنما هو اتباع لأهواء ضالين وشهواتهم.

إذا كان في إمكان ثلاثة أرباع الفرنسيين تقريباً (٧٢٪) الابتعاد عن التليفزيون مدة أسبوع.. أفليس في إمكان المسلمين جميعهم الابتعاد عنه أكثر من ذلك؟ والمسلمون يعلمون أن كثيراً مما يُعرض على شاشات التليفزيون إنما هو من لهو الحديث؟!

حاولوا أن تتحرروا من الجلوس أمام التليفزيون وقتاً كل يوم.. وزيدوا هذا الوقت يوماً بعد يوم.

يزيد الطلاق

مع تزايد عمل المرأة خارج بيتها

ذكرت الباحثة الاجتماعية أنزا فووكن من جامعة جيسن الألمانية أن حالات الطلاق بعد اليوبيل الفضي للزواج[١] ما عادت نادرة كما هو المعتاد في ألمانيا، وأكدت الباحثة التي أجرت دراسة إحصائية حول الطلاق بمعونة دائرة الإحصاء المركزية الألمانية أن حالات الطلاق بين الزيجات التي دامت ٢٥ ـ ٣٠ سنة تضاعفت في ألمانيا عام ١٩٩٨م عن حقبة السبعينيات، وربطت فوركن بين هذه الظاهرة وبين تضاعف فرص العمل المتوافرة أمام النساء الألمانيات، وقالت إن الدراسة تثبت أن النساء كن هن المبادرات إلى الانفصال عن الزوج في «طلاق الزيجات القديمة».

وبالأرقام ارتفعت نسبة حالات الطلاق بين الزيجات القديمة (٢٠ ـ ٣٠ عاماً) عام ١٩٩٨م إلى ١٨ ـ ٢٠٪ من مجموع حالات الطلاق التي سجلتها المحاكم الألمانية، وكانت النسبة لا تتعدى ٩٪ عام ١٩٧٥م.

وأشارت العالمة النفسية روزماري نافة ـ هيرتز من جامعة أولدنبورج إلى أن حالات الطلاق المتأخرة ترتبط أيضاً بنضوج الأطفال وخروجهم من البيت إلى الجامعات والعمل، وتعقد متطلبات المعيشة المشتركة أمام الزوجين، فالحياة العائلية كانت لها متطلبات، وتستجد الآن متطلبات أخرى، كما أن شروط قبول الزوجين أحدهما بالآخر قبل ٣٠ عاماً اختلفت الآن. إن ظروف الزواج في سن الشباب تتراوح حول الحب والعمل والرقة.. إلخ، في حين أن شروط الاستمرار

(١) أي بعد مرور ٢٥ سنة على الزواج.

بعد ثلاثين عاماً تتراوح حول التضحية وتحمل أمراض الآخر[١] .

هذه الدراسة أوروبية، وليست شرقية، وعلمية، قامت بها الباحثة بمعونة دائرة الإحصاء المركزية الألمانية، ومن ثم فليس لأحد من الداعين إلىٰ عمل المرأة خارج بيتها أن يرفض ما جاء فيها .

ولقد ربطت الباحثة بين تضاعف حالات الطلاق وتضاعف فرص العمل المتوافرة أمام النساء الألمانيات، أي أن عمل المرأة خارج بيتها كان سبباً واضحاً في ارتفاع نسب الطلاق إلىٰ الضعف، فإذا أضفنا إلىٰ الطلاق الأضرار الكثيرة الناتجة عن غياب المرأة من بيتها أدركنا أن عمل المرأة خارج بيتها نقمة وليس نعمة، دمار وليس عماراً، خسارة وليس ربحاً .

قالت الباحثة : إن الدراسة تثبت أن النساء كُنَّ المبادرات إلىٰ الانفصال عن الزوج»، ولعل هذا ناتج عن واحد أو أكثر مما أفرزه عملها خارج بيتها، ومن ذلك :

أ ـ الإرهاق الشديد الذي أصاب المرأة بسبب جمعها بين العمل داخل البيت وخارجه .

ب ـ فقدان المرأة القناعة بعد أن أصبحت ذات دخل تستغني به عن إنفاق الرجل، وبعد اختلاطها برجال آخرين في العمل .

جـ ـ غياب خُلق الصبر علىٰ الزوج بسبب العاملين السابقين .

ولعل هذا يظهر جانباً من حكمة الإسلام في تحذير المرأة من طلب الطلاق دون بأس، فعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله قال : «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[٢] .

---

(١) جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٧٦٢٦ .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي والحاكم وابن حبان في صحيحه، وأورده الألباني في صحيح الجامع .

ومن أسباب الطلاق المتأخر ـ كما تقول الباحثة روز ماري هيرتز ـ: غياب التضحية، وتحمل أمراض الطرف الآخر.

وهذه الأسباب وما يشبهها يعالجها الإسلام بتوجيه الأزواج نحو الآخرة، وابتغاء وجه الله تعالى، حين يعد المرأة المطيعة زوجها بدخول الجنة من أي أبوابها شاءت، وحين يعد الزوج بالأجر الكبير على إحسانه لزوجته وصبره عليها.

التفاتة حكيمة إلى الأسرة

نسمع عن «مجلس أعلى للتخطيط» أو «مجلس أعلى للإسكان» أو غيره من المجالس العليا التي يشير وصفها بـ«الأعلى» إلى زيادة الاهتمام، اهتمام المسؤولين بما يرعاه هذا المجلس.

ولاشك في أن أهم ـ في رأينا على الأقل ـ مجال يحتاج إلى رعاية فائقة، واهتمام زائد، هو مجال الأسرة، الأسرة التي ينجح بنجاحها كل شيء في المجتمع، ويمرض بمرضها كل شيء في المجتمع.

ولهذا فإننا حين قرأنا أن أمير دولة قطر الشقيقة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أصدر قراراً بإنشاء مجلس أعلى لشؤون الأسرة.. فرحنا كثيراً، واستبشرنا خيراً، وتمنينا لو كان في كل دولة خليجية مجلس أعلى لشؤون الأسرة.

لقد جاء في قرار أمير قطر أن للمجلس الأعلى لشؤون الأسرة شخصية اعتبارية وموازنة مستقلة، ويتبع مجلس الوزراء، وهذه أمور تقوي منه وتكسبه أهمية ومكانة.

وباعتبار المرأة أقرب إلى الأسرة فقد عهد القرار برئاسة المجلس إلى حرم الأمير الشيخة موزة المسند، وعضوية أعضاء يمثلون الوزارات والأجهزة الحكومية، وعدداً من الجهات.

ولعلنا ندرك عظم الغاية التي يتجه إليها المجلس من خلال اطلاعنا على أهدافه التي حددها القرار:

- تعزيز دور الأسرة في المجتمع والعمل على رعايتها.
- دراسة المشكلات التي تواجهها واقتراح الحلول المناسبة لها.

- رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.

- دراسة مشكلات انحراف الشباب.

وغيرها من الأهداف التي تؤكد شدة الحاجة إلى مثل هذا المجلس، والآمال المعقودة عليه.

ولاشك في أن الأمانة العامة للأوقاف بدولتنا، دولة الكويت، تقوم من خلال «وقف الأسرة» بدور مشابه للدور المنوط بالمجلس الأعلى لشؤون الأسرة، لكنه يظل في حاجة إلى اهتمام أكثر ورعاية أكبر.

ولنكن على يقين أن كل دينار ننفقه على حفظ الأسرة ورعايتها وتوجيهها، سيوفر علينا أضعافه مما ننفقه على خسائر تفكك الأسرة وتمزقها من طلاق أزواج، وانحراف أبناء، وانتشار أمراض.

وإذا كان الغرب قد أدرك ما ألحقه تفكك الأسر في مجتمعه واقتصاده من أضرار، فإن المسلمين مدعوون اليوم ليلتفتوا إلى الأسرة الالتفاتة العظيمة التي أوصاهم بها دينهم في الكتاب والسنة.

الأهم من موعدها

إعدادي لها

المنجم الفرنسي نوستراداموس، الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، أوهم الناس أن يوم الرابع من يوليو الماضي هو الموعد المقرر للانفجار الكبير للكون.

ويورد داموس تكهنه هذا في المقطع رقم ٧٢ من المجلد العاشر لكتابه «قرون» الذي نشره أول مرة في عام ١٥٥٥ ميلادي.

وكانت حمّىٰ نوستراداموس علىٰ أشدها في اليابان، فقد راح بعضهم يشتري الملابس الواقية من الغازات، ويعد أطواق النجاة، ويتهيأ لدخول ملاجئ الغارات، بينما راحت بعض الفرق الدينية تذكي الخوف من قيام الساعة لجذب الأتباع والمريدين الجدد.

وكتب مصمم الأزياء والعطور باكوراباان أكثر الكتب مبيعاً لعام ١٩٩٩م بعنوان: «النار الآتية من السماء» وادعىٰ فيه أن محطة الفضاء الروسية «مير» ستسقط علىٰ قصر فنسان يوم الحادي عشر من أغسطس لتدمر باريس وأربعة مدن أخرىٰ، وجاء يوم ١١/ ٨/ ١٩٩٩م، ولم يحدث شيء مما تكهن به.

ولعل أحداً يقول: إن بعض تنبؤات داموس تحققت ووقعت! والحق أن كلام داموس في كتابه كان عاماً وغامضاً، يمكن تفسيره تفسيرات شتىٰ، وتطبيقه علىٰ أحداث ووقائع مختلفة، يقول الباحث برنار شفينار من جامعة بورجوندي المختص بالمنجم نوستراداموس: «إن أسلوبه غامض في الأغلب بحيث إن أي

إنسان يبحث عن أجوبة، أو تحقيق لمخاوفه، سيجد ذلك الشيء الذي يبحث عنه».

وما أكثر الأيام التي حددها منجمون لنهاية العالم، وجاءت هذه الأيام دون أن يحدث شيء، ولتستمر الحياة على هذه الأرض، الحياة التي لا يعرف نهايتها عليها إلا الخالق العظيم سبحانه:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧).

لقد وردت لفظة «القيامة» سبعين مرة في القرآن الكريم، وردت في آيات لاتتحدث عن علاماتها وأماراتها، إنما تتحدث عن الحساب الذي فيها، والجزاء الذي ينتظر الناس خلالها: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وذلك هو المهم، أن نعد العدّة لها، فنعمل الصالحات لنكون فيها من الفائزين، ونجتنب الموبقات حتى لا نكون فيها من الخاسرين.

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران: ١٦١).

﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (النحل: ٢٥).

وغيرها من عشرات الآيات.

ومن هنا كان توجيه النبي ﷺ لمن جاء يسأله: متى الساعة؟ فسأله عليه الصلاة والسلام: «ماذا أعددت لها؟».

إن الأهم من محاولة معرفة موعد يوم القيامة هو العمل على حُسن الإعداد

لها، الإعداد للفوز بجنة لا يعدل نعيم الدنيا كله ما فيها من نعيم . . إلا كمقدار ما يخرج أحدنا من الماء، لو غمر إصبعه في البحر إلى ماء البحر كله! .

فتأملوا.

أقوى من الحديد والنار والريح والجبال

ألا ترون إلى المتصدق وهو يعلو فوق رغبات النفس؟! النفس التي تقول له: إنك أولى بهذا المال، أولادك وأهلك أحق به، أما تعبت في جمعه؟ ألم تبذل علمك في سبيل تحصيله؟ ألم تنفق الوقت في تكثيره؟ ما بالك اليوم إذن تسعى إلى تضييعه على أناس قعدوا ولم يتعبوا، وناموا ولم يسهروا، وأراحوا أذهانهم ولم يفكروا ويدبروا؟!.

في النفس شح يمنع صاحبها من الإنفاق على الفقراء والمساكين والأرامل، يمنعه من التصدق على الأيتام والمحتاجين، يحول بينه وبين البذل، بذل الأموال في سبيل الله تعالى.

ومن ينجح في التغلب على هذا الشح، والانتصار على تلك النفس الأمارة بالبخل، والتصدي للشيطان الذي يخوّف من يحدث نفسه بالتصدق، يخوفه بنقص المال والفقر.. من ينجح في هذا كله فإنه ـ لاشك ـ يملك قوة إيمانية طيبة.

فإذا ما اقتحم المؤمن المسلم هذه العقبة برزت له عقبة أخرى أشد وأمنع، إنها عقبة رغبة النفس في إظهار هذا التصدق، في إعلام الآخرين به، فإذا كانت قد تخلت عن المال، فإنه يصعب عليها أن تتخلى عن حديث الناس عن كرمها وتصدقها وسخائها وبذلها.

واقتحام العقبة الأخرى يحتاج إلى قوة كبرى لا يملكها إلا القليل من الناس، ولاشك في أنه ـ أي اقتحام هذه العقبة ـ يعني أن الناجح فيه قوي جداً.

قوي جداً؟! أجل، قوي جداً، بل أقوىٰ من الجبال، وأقوىٰ من الحديد، وأقوىٰ من النار، وأقوىٰ من الماء، وأقوىٰ من الريح.

ولسنا نحن الذين نشهد للمؤمن المسلم الذي تصدق فأخفىٰ صدقته بأنه أقوىٰ من الجبال والحديد والنار والماء والريح، بل هو النبي ﷺ الذي يقول في الحديث الذي أخرجه الترمذي: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتتكفأ.. فأرساها بالجبال، فاستقرت، فعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت: ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالوا: فهل خلقتَ خلقاً أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالوا: فهل خلقت خلقاً أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، إذا تصدق صدقة بيمينه فأخفاها عن شماله» (الترمذي، والإمام أحمد في مسنده).

فهنيئاً لك أخي المؤمن المسلم المخفي صدقته، القوي المنتصر علىٰ ما في نفسه من شح وتطلع إلىٰ ذكر الناس وثنائهم، هنيئاً لك شهادة حبيبك ﷺ لك بأنك أقوىٰ من الجبال والحديد والنار والماء والريح.

وهنيئاً لك جائزتك الكبرىٰ بأن يظلك الله سبحانه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ذلك بأنك واحد من هؤلاء السبعة الناعمين بظل الله في يوم أشد حراً من الأيام كلها: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه».

كم.. وكم.. وكم نضيع !

قال الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

أعلنت منظمة الأمم المتحدة للطفولة «يونيسيف»، أنه يموت كل عام زهاء مليون ونصف مليون طفل رضيع، فيما يعاني الملايين غيرهم من إعاقات في النمو بسبب عدم حصولهم على كفايتهم من حليب أمهاتهم.

وأفاد تقرير يونيسيف عن أهمية الرضاعة الطبيعية أن هذه الرضاعة، وهي اللبنة الأساسية في تغذية الأطفال ورعايتهم، تمنع وفاة أكثر من ستة ملايين طفل سنوياً.

وأكد التقرير أن حليب الثدي منفرداً هو أفضل ما يمكن توفيره من غذاء أو شراب لأي طفل.

ودعت «اليونيسيف» إلى وجوب أن تستمر الرضاعة الطبيعية خلال السنتين الأوليين من حياة الطفل.

وأهابت المنظمة بالأمهات أن يبدأن بالرضاعة الطبيعية في أسرع وقت ممكن بعد الولادة.

وقالت: إنه لا يخفى أن معظم الأمهات قادرات على الإرضاع الطبيعي[1].

سبحان الله.. سبحان الله وبحمده.. سبحان الله العظيم.

---

(١) جريدة «الاقتصادية» العدد الصادر في ١٠/ ٨/ ١٤١٧هـ-٢٠/ ١٢/ ١٩٩٦م.

في السنوات القليلة الأخيرة من القرن الميلادي العشرين، وبعد أكثر من أربعة عشر قرناً من نزول القرآن العظيم، تأتي هذه المنظمة العالمية لتدعو إلى ما دعا إليه القرآن الكريم، وأوصى به الأمهات: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

ولعل القارئ الكريم لاحظ أن «اليونيسيف» دعت إلى وجوب أن تستمر الرضاعة الطبيعية خلال السنتين الأوليين من حياة الطفل، وأن القرآن الكريم، وقبل المنظمة بأربعة عشر قرناً، دعا الأمهات إلى إرضاع أولادهن «حولين كاملين»، أي سنتين لا نقصان فيهما، فأي إعجاز أبلغ من هذا الإعجاز؟!

كيف لرجل أميّ، مشغول بأعباء الدعوة والغزوات أن يحيط بالأهمية الصحية لإرضاع الأمهات أطفالهن و«حولين كاملين»؟!

أليس ما وصل إليه العالم اليوم يشهد بأن هذا إنما هو كلام الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء؟ سبحانه، سبحانه.

كم من الملايين، بل مئات الملايين، أنفقتها أمهات المسلمين على الحليب الصناعي لإرضاع أطفالهن به؟! وكم من الأمراض، والضعف، والهزال، وتراجع النمو.. لحقت بأطفال المسلمين نتيجة إهمال الأمهات إرضاع أطفالهن من أثدائهن؟! وكم؟ وكم؟ وكم؟!.

كل هاتيك البلايين التي أنفقت على الحليب الصناعي، وعلى علاجات الأطفال الذين مرضوا لعدم تناولهم الحليب الطبيعي من أمهاتهم، كان يمكن توفيرها لو أطاعت الأمهات ربهن في آية واحدة!

فكم نضيع ونضيع حينما نعصي الله في آياتٍ كثيرة؟!

مسيرة نسائية عالمية

ماذا يعني بدء ممثلات ٦٧ بلداً التحضير لمسيرة عالمية للنساء، وفي عام ٢٠٠٠م للتوعية بالمشكلات التي تواجهها النساء في مختلف أنحاء العالم؟

ألا يعني هذا أن المرأة، مع دخول القرن الميلادي الحادي والعشرين، مازالت تواجه مشكلات كثيرة؟ وكبيرة؟!.

لقد حددت المندوبات المشاركات في الإعداد لهذه المسيرة مطالبهن في: مكافحة الفقر والعنف.

وطلبن إدانة الأنظمة التي لا تحترم حقوق النساء الأساسية، وأشرن إلى أن عمليات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية يجب أن تعتبر «جرائم حرب».

وكان الاجتماع التمهيدي قد عقد في مونتريال بكندا، وبحثت فيه المشاركات الشكل الذي سيتخذه تحرك المسيرة، والذي يمكن أن يكون تجمعاً لمندوبات من كل أنحاء العالم أمام مقر الأمم المتحدة.

وقالت ميشال أسلين عضو لجنة تنظيم المسيرة: إن الأمم المتحدة ستواجه إدانة لاشك، لأننا نرى أنها لا تتحمل مسؤولياتها كما يجب.

وبعد، فإني أتمنى أن أصل إلى هؤلاء اللواتي اجتمعن في كندا لأخبرهن أن ما يطالبن به حققه الإسلام للمرأة قبل خمسة عشر قرناً، أجل، فقد حماهن الإسلام من الاعتداءات الجنسية والاغتصاب وعدَّها جرائم يُقتل مرتكبها، مثلما يطالبن باعتبارها «جرائم حرب».

وكذلك حمايتهن من الفقر حين يأمر الإسلام الرجل بالإنفاق على زوجته

وأمه وأخته وابنته، حتىٰ ابنة عمه أو عمته، أو ابنة خاله أو خالته، إن لم يكن لها من أقاربها غيره، فهو مُلزم بالإنفاق عليها.

لقد جعل الإسلام الإنفاق على الأهل أكثر أجراً من الإنفاق في سبيل الله «دينار أنفقته على أرملة، ودينار أنفقته على مسكين، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» (صحيح مسلم).

وقال النبي ﷺ: «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة» (البخاري).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتىٰ ما تجعل في فم امرأتك» (البخاري).

وقال ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» (البخاري).

وقال ﷺ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ، وابدأ بمن تعول» (البخاري).

هذا هو الإسلام يوصي بالإنفاق على النساء والأطفال، وهو الذي يشهد به التاريخ الإسلامي، وهو الذي نراه اليوم في مجتمعاتنا المسلمة، على الرغم من عدم الالتزام الكامل.

ترىٰ، لو عُرضت حقيقة الإسلام ومكانة المرأة فيه على هؤلاء اللواتي اجتمعن في كندا.. ألن يختصرن مطالبهن بمطلب واحد: «إذن، طبقوا وحققوا لنا ما يكفله الإسلام للمرأة»؟!.

في غياب الإحسان :

طعامنا ودواؤنا في خطر !

الزيوت المضافة إلى (التونا) التايلاندية مصنوعة من فول الصويا، المعالج بالهندسة الوراثية، المحظور دولياً، لما يسببه من اختلال في الجينات لدى المستهلكين.

ولحوم الأبقار الدانمركية، بعد لحوم الأبقار البريطانية، أصبحت مصدر خطر صحي على متناوليها بسبب إضافات إلى طعامها العشبي من عظام أو هرمونات.

وثلاثة أدوية عالمية شهيرة لعلاج الإنفلونزا والسكر والحموضة تم سحبها من الصيدليات خلال أسبوع واحد لأنهاأدوية قاتلة.

هذه أمثلة لأخبار كثيرة في الآونة الأخيرة، تنقل ما يثير في الناس القلق على صحتهم وسلامتهم.

إن حب الكسب الكبير والعاجل وراء كثير من هذه المخاطر التي تلحق بطعام الناس ودوائهم، طعامهم الذي ينبغي أن يكون سبب قوتهم ونموهم، ودوائهم الذي ينبغي أن يكون علاجاً لأمراضهم وأدوائهم.

وعلى الرغم من الرقابات الدقيقة والكثيرة التي تقوم بها الجهات المسؤولة، في مختلف أنحاء العالم، فإن غياب رقابة مهمة، يعني أن الخطر سيبقى مهدداً أمننا الصحي، هذه الرقابة التي وصفها خاتم النبيين بـ«الإحسان» وشرحه بقوله الشريف: «أن تعبد الله كأنك تراه.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (البخاري).

إن كسب الناس إذا لم يكن خاضعاً لهذا الإحسان، سيكون سبباً في ظهور الفساد المؤذي والضار والمخرب لكل ما حولنا ولنا نحن أنفسنا:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

حتى في بيتها .. لم يرحموها

تعددت التقارير ، وكثرت الإحصاءات التي تتحدث عما تلقاه المرأة في الغرب من الرجال في العمل، والشارع، وغيرهما من الأماكن العامة، فهل يعني هذا أنها في بيتها آمنة؟

الجواب : لا، هناك نساء غير ناجيات من أذىٰ الرجال حتىٰ وهن في بيوتهن!

في العاصمة الإسبانية مدريد عقد الملتقىٰ الأولىٰ عن «أثر العنف علىٰ المرأة في مختلف مراحل حياتها»، وفيه قالت الباحثة إيليا أوتريبا : إن سوء معاملة المرأة في البيت فاق في العدد محاولات الاعتداء عليها في الشارع، أو في تعرضها للسرقة، أو حوادث السيارات.

وأضافت أوتريبا أن عدد الشكاوىٰ المقدمة إلىٰ الشرطة بسبب سوء المعاملة أو الاعتداء علىٰ المرأة في البيت قد ارتفع في العام ١٩٩٨م ليصل إلىٰ ٢٦ ألف شكوىٰ بينما كان عدد الشكاوىٰ عام ١٩٩٧م أقل بخمسمائة شكوىٰ تقريباً (٢٤٤٦٩ شكوىٰ).

هل هذا هو العدد الحقيقي للنساء اللواتي يلحق بهن أذىٰ الرجال في بيوتهن؟ إن عددهن يتجاوز الربع مليون امرأة! وهذا ما تؤكده أوتريبا التي ترىٰ أن ما بين ٥ إلىٰ ١٠ في المائة فقط من النساء يتجرأن علىٰ تقديم شكوىٰ إلىٰ السلطات المسؤولة. فإن كان ٥ في المائة من النساء المتأذيات يشتكين فإن العدد يتجاوز النصف مليون امرأة! في إسبانيا وحدها!! أفهذا هو تحرير المرأة الذي تحقق؟

في بيتها، الذي ينبغي أن يكون آمن مكان لها، تفتقد الأمن!

يا مسكينة! كم تعانين وتحتملين وتكابدين! إذا خرجت إلىٰ الشارع اعتدوا عليك، وفي العمل يتحرشون بك ويؤذونك، وفي أماكن اللهو أنت ألهيتهم! لم يتركوك حتىٰ في بيتك فما رحموك وما رفقوا بك . .

بل حتىٰ بناتك الصغيرات لم يسلمن من الأذىٰ، أذىٰ الرجال الذين يرون فيهن وسائل لهو، وأدوات متعة، ففي بحث آخر تقدمت به الباحثة كارمن دياث ماريس، في الملتقىٰ نفسه، قالت فيه: «إن ثمانين في المائة من الأطفال المفقودين في إسبانيا بنات يتم توجيههن إلىٰ ممارسة الدعارة»[١] .

هذه هي الأنثىٰ، طفلة وشابة وامرأة، تلقىٰ ما تلقىٰ علىٰ أيدي الرجال، فأين التحرير الذين يزعمون؟!.

---

(١) جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٧٤٦٠ .

ما لكم كيف تحكمون ؟!

أصدر قاض إسباني حكماً يقضي بمنع رجل من تعاطي الخمر مدة ستة أشهر بعدما اعتدىٰ علىٰ زوجته بالضرب وهو في حالة سكر .

ونشرت صحيفة «إيل بائيس» الإسبانية حكم القاضي، وذكرت أنه يقضي أيضاً بحبس الرجل ستة أشهر مع وقف التنفيذ .

وكان المتهم قد غضب من زوجته عندما عاد إلىٰ منزله ثملاً في الخامسة فجراً، وطلب منها إعداد العشاء . . ولما تأخرت انهال عليها ضرباً فأصابها بجراح عدة .

ولضمان نفاذ الحكم أمر القاضي بفحص دم الرجل يومياً طيلة فترة العقوبة .

١ ـ جميلة وطيبة وحسنة غيرة القاضي علىٰ هذه الزوجة المسكينة، التي انهار عليها زرجها ضرباً وأصابها بجراح عدة، لأنها تأخرت في إعداد طعام العشاء (في الفجر!)، دون أن يرىٰ (الزوج) في تأخره هو في العودة إلىٰ بيته حتىٰ الصباح أي ضير!

لكنها غيرة نادرة، حتىٰ إن وكالة الأنباء التي نقلت الخبر وصفت حكم القاضي الإسباني بأنه (فريد من نوعه في تاريخ القضاء الإسباني) وهذا يعني أنه قلّما يمنع الأزواج من احتساء الخمرة، وهي غيرة ناقصة، لأن حكم القاضي لم يقتص للزوجة المسكينة من زوجها الذي أصابها بجروح عدة! .

٢ ـ مادام القاضي قد أصدر حكمه هذا لحماية هذه الزوجة المقهورة بمنع الزوج من تناول الخمرة ستة أشهر . فماذا يمنع أن تمنع الحكومات الأزواج كلهم

من تناول الخمرة وإلى الأبد، لحماية ملايين الزوجات في العالم من اعتداءات أزواجهن المخمورين؟!.

أليس في حكم القاضي اعتراف واضح بأن الخمرة هي السبب في اعتداء ذاك الزوج على زوجته بالضرب؟

إن الإحصاءات الغربية تخبرنا أن هناك ثلاثة ملايين امرأة مضروبة في أمريكا، ومليونين في فرنسا، ولا تختلف في غيرها من دول العالم كثيراً، فمن يحمي النساء من بطش أزواجهن؟!.

٣ـ ونريد أن نسأل: وبعد مضي ستة أشهر.. ألن يعود ذاك الزوج إلى إدمان الخمرة من جديد، ومن ثم، ضرب زوجته!

لماذا تدفنون رؤوسكم في الرمال؟ لماذا لا تنظرون إلى الحقيقة كاملة؟لماذا لا تعترفون بأن منع الخمرة يحمي ملايين الناس في العالم، ومنهم الذين يحتسونها؟!.

تمنعون لحم بقر بسبب الجنون، ولا تمنعون خمرة تفقد العقل، وتسبب الأمراض الخطيرة، والحوادث الأليمة، والجرائم الكبيرة؟!

إنها إحصاءاتكم ودراساتكم العلمية، هي التي تقول هذا وأكثر منه عن الخمرة، فلماذا لا تمنعونها كما منعها الإسلام؟

ما لكم.. كيف تحكمون؟!!

استراتيجية إعلامية صحية لمحاربة التدخين

أعلنت وزيرة الصحة العامة البريطانية تيسا جويل عن الاستراتيجية الجديدة للسلطات الصحية في مكافحة التدخين، وتضمنت هذه الاستراتيجية التي نشرت في مجلة «بي . إم . جي» الطبية الصادرة في بريطانيا دليلاً جديداً يلزم الأطباء بتقديم النصيحة لكل مريض من مرضاهم، ولمدة ثلاث دقائق، عن نقاط مهمة تتعلق بالتدخين ومضاره.

ورفعت الهيئات الصحية المسؤولة عن هذه الاستراتيجية شعار «نصيحة لاتستغرق ثلاث دقائق قد تنقذ الحياة»، وخلال الدقائق الثلاث يجب على الطبيب أن يتناول أربع نقاط رئيسة، حسبما ورد في تقرير هيئة التعليم الصحي البريطانية هي: سؤال المريض إذا كان مدخناً أم لا، ونصحه بإيقاف التدخين وتوعيته بطرق المعالجات الحديثة مثل لصقات وبخاخات النيكوتين وغيرهما، وتحويل المريض إلى هيئة استشارية لتقديم النصح له، والأهم من ذلك تذكير المريض بالآثار السلبية التي يمكن أن تنتج عن التدخين مثل سرطان الرئة والذبحة القلبية والسكتة الدماغية، وأشارت الدراسات الإحصائية التي نشرت في الولايات المتحدة وبريطانيا أن سبعة من كل عشرة مدخنين لديهم نية الإقلاع عن التدخين، كما أوضحت تقارير الهيئات الصحية البريطانية أنه إذا ما زاد الأطباء مدة حديثهم مع مرضاهم عن عادة التدخين بمعدل ٥٠٪، فإن ٧٥ ألف بريطاني سوف يقلعون عن التدخين سنوياً[١].

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧٣٥٤-١٦/ ١/ ١٩٩٩م.

ماذا يمنع وزراء الصحة العرب من تبني أمثال هذه الاستراتيجية المهمة في محاربة التدخين؟

إن الإنفاق القليل على الوقاية يوفر إنفاقاً كبيراً على العلاج، والوقاية من أمراض التدخين الكثيرة والخطيرة تستحق اهتماماً أكثر وعملاً أكبر، ومن ثم فإن التوفير بسببها عظيم، والخير الناتج عنها كبير.

و«نصيحة لا تستغرق ثلاث دقائق قد تنقذ الحياة»، ذلك الشعار الذي رفعته الهيئات الصحية المسؤولة عن تلك الاستراتيجية في بريطانيا، لا نقلٌ عن بريطانيا حاجةً إليه، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها أخذها واستفاد منها.

بل نحن في حاجة إلى أكثر من هذه الدقائق الثلاث التي يتحدث خلالها طبيب إلى مريض، نحن في حاجة إلى ساعات في محطات فضائية يصل بثها، المتواصل على مدار الساعة إلى جميع أنحاء العالم، ويشاهد برامجها ملايين الناس.

في حاجة إلى ساعات يتحدث فيها أطباء أحاديث معدة إعداداً مدروساً من النواحي العلمية والنفسية ليكون لها تأثير في المدخنين، في حاجة إلى ساعات يتحدث فيها المرضى من المدخنين وهم يعلنون ندمهم على التدخين، وهم ينصحون غيرهم بالابتعاد عنه، والحذر من شرّه، عبر شرح الآلام التي يحسون بها، والصحة التي فقدوها، والحال الشديدة السوء التي صاروا إليها.

وإذا كانت تقارير الهيئات الصحية البريطانية قد أوضحت أنه إذا مازاد الأطباء حديثهم مع مرضاهم عن عادة التدخين بمعدل ٥٠٪ فإن ٧٥ ألف بريطاني سوف يقلعون عن التدخين سنوياً، إذا أوضحت تلك التقارير هذا فإن المرجو والمأمول، إذا ما عملت وسائل إعلامنا بما اقترحناه عليها، أن يتجاوز عدد المقلعين عن التدخين من المسلمين أكثر من مائة ألف إنسان، في آخر كل عام.

فكّر عشر مرات

قبل أن تتزوج على زوجتك

لو كانت عندك سيارة، تصل بها إلى عملك، وإلى السوق، وإلى كل مكان تريد أن تصل إليه، دون تحمل المشي مسافات طويلة على قدميك، في طقس شديد الحرارة، أو شديد البرودة.

لو كان عندك مع هذه السيارة ابن كبير تجاوز الخامسة والعشرين من العمر، لكنه لم يكن يستفيد من سيارتك في الوصول إلى حيث يريد، بسبب استئثارك بسيارتك دونه.

ولو عزمت ذات مرة على شراء سيارة أخرى، ولكن لا لتعطيها ولدك فتخفف عنه من عناء سيارات النقل العام المزدحمة أو المشي على القدمين في طقس شديد الحرارة أو البرودة، بل لتستأثر بها أنت وحدك دون أولادك.

لو انطبق ما سبق عليك، وتحقق فيك، لما كان مخطئاً أو متجنياً من يقول لك: ما هذه الأنانية؟ أي قساوة قلب هذه؟ أتستأثر بسيارتين وحدك.. وتترك ولدك يكابد ويعاني هموم التنقل ومشاقه؟!

ألا يشبه هذا الأب أب آخر، له من أولاده من تجاوز الخامسة والعشرين، وهو - أي الابن - ما يزال عزباً، لا زوجة له تعفه ويسكن إليها، ثم يقدم - أي الأب - على الزواج من امرأة أخرى، بدلاً من أن يزوج ابنه الذي هو أحوج إلى الزواج منه؟!

أجل، فهذا الابن الشاب غير المحصن أحوج إلى الزواج من ذاك الأب

المحصن الذي تجاوز الأربعين أو الخمسين أو الستين.

إذا كان الله تعالىٰ قد أعطاك من المال ما تستطيع به الزواج من أخرىٰ، أيها الأب الفاضل، فإن الأولىٰ أن تزوج بهذا المال ولدك، لتفرحه وتفرح به، وترىٰ أولاده وتسعد بهم.

ألستم معي في أن كثيراً من الآباء يتزوجون الثانية وفي أولادهم من هو أحوج إلىٰ الزواج منهم؟

وحين يُزوِّج الأب ابنه بدلاً من أن يتزوج هو، فإنه لا يُدخل الفرحة إلىٰ قلب ابنه وحده، بل إنه يُدخِل الفرحة إلىٰ قلب أمه أيضاً، أي قلب زوجته التي كان ستُصدم وتحزن وتتألم حين تعلم أن زوجها تزوج عليها.. بدلاً من أن يزوج أولادهما!

وإذا كنا لا نجده مخطئاً ذاك الذي وصف الأب الذي استأثر بسيارتين دون ولده.. بالأنانية والأثرة وحب الذات والقسوة، فإننا كذلك لا نجده مخطئاً من يصف الأب الذي يتزوج من امرأة ثانية وفي أولاده من هو أحوج إلىٰ الزواج منه، بما وصف به صاحب السيارتين.

لا بل إن زواج الأب من امرأة ثانية كثيراً ما يكون سبباً في تأخر زواج أولاده، وذلك حين يُرزق من زوجته الثانية بأولاد، فيموت عنهم وهم مازالوا صغاراً، أو يفتقر بعد أن كان ذا مال وفير، فينتقل عبء الإنفاق عليهم ورعايتهم إلىٰ إخوتهم من أبيهم، فيكون إخوانهم الصغار مؤخرين لهم عن الزواج.

بل وقد يكون زواج الأب من أخرىٰ سبباً في تأخر زواج بناته أيضاً، حين ينشغل بزواجه الثاني عنهن، وينصرف الخطاب عن التقدم إليهن، لما يرون من خلافات نشأت في الأسرة بسبب الزواج الثاني، أو لغير ذلك.

أعود فأذكّر أن التعدد مباح، لكنه ليس فرضاً أو واجباً، وعلىٰ الرجل أن يفكر عشر مرات قبل الإقدام عليه.

شركاء سرقة الحياة !

جاء في تقرير أعدته الحكومة البريطانية أن ٤,٢٪ من الرجال والنساء قالوا إنهم تعرضوا لهجوم من شريك حياتهم خلال العام الماضي، ويزيد هذا العدد كثيراً عن التقديرات السابقة.

لكن ٦٠٪ من النساء قلن إن الهجوم الأخير الذي تعرضن له قد خلّف لديهن شعوراً بالخوف مقارنة مع ٥٪ فقط من الرجال.

وأصيبت ٤٥٪ من النساء اللواتي تعرضن لهجوم بجراح مقارنة مع ٣١٪ من الرجال.

وقال التقرير: إن الإحصاءات تدل على أن امرأتين تُقتلان كل أسبوع على يد شريك حياتهن الحالي أو السابق.

وأشار التقرير إلى أن النساء دون الخامسة والعشرين أكثر عرضة للعنف الأُسري[1].

«ويزيد هذا العدد كثيراً عن التقديرات السابقة»، هذه العبارة في الخبر تؤكد أن العنف بين الزوجين يزيد ولا ينقص، ومن ثم فإن زيادة العنف تعني أن الأسرة الغربية تتجه اتجاهاً خاطئاً، وأن المجتمع كله يتجه اتجاهاً خاطئاً، وأن المناهج التربوية والسياسة الإعلامية تحتاجان إلى مراجعة وتغيير.

٦٠٪ من النساء اللواتي مارس معهن العنف الزوج أو الصاحب استقر في نفوسهن شعور بالخوف مقابل ٥٪ من الرجال، أي أن من يفقدن الإحساس

(١) وكالة الأنباء الألمانية، ٤/ ١٠/ ١٤١٩هـ-٢٢/ ١/ ١٩٩٩م.

بالأمن نتيجة هذا العنف هُنَّ أكثر من الرجال الذين يفقدون الإحساس بالأمن نتيجة هذا العنف أيضاً باثنتي عشرة مرة! فأي ظلم يلحق بالمرأة هناك نتيجة هذا العنف؟! وأين الحماية الحقيقية التي تحفظ المرأة وتصونها وتعيد لها أمنها؟ وأين المساواة التي يزعمون أنهم حققوها للمرأة؟!

٤٥٪ من النساء يصبن بجراح مقابل ٣١٪ من الرجال، أي أن المجروحات من النساء يزدن بنسبة ٥٠٪ عن المجروحين من الرجال، هذه هي الجراح الجسدية، أما الجراح النفسية فلم يشر إليها التقرير، ونحسب أنها لدى المرأة أضعافها لدى الرجل.

«امرأتان تُقتلان كل أسبوع على يد شريك حياتهن الحالي أو السابق»، ولم يُشر التقرير إلى رجال يُقتلون على أيدي شريكة حياتهم، أفلا يعني هذا أن المرأة غير محمية؟! وأن المرأة ضحية والرجل جانٍ!

ثم لننظر في مجموع ما يُقتل من النساء على أيدي الرجال الذين وصفهم التقرير بـ«شركاء الحياة»! إنه ثماني نساء كل شهر أو أكثر من مئة امرأة كل عام! أليس هذا كثيراً في دولة واحدة هي بريطانيا؟!.. لو أنهم لم يسموهم «شركاء الحياة».. وسموهم «شركاء سرقة الحياة».. لكانوا أقرب إلى الحقيقة.

لماذا تعجبهم

«الكاميرا» الخفية؟!

لماذا نجح البرنامج التليفزيوني «الكاميرا الخفية» حتى بات برنامجاً مشتركاً في جميع محطات التليفزيون في العالم؟! فهو «الكاميرا وين» في محطة، و«الكاميرا الشقية» في محطة أخرى، و«بدون تمثيل» في محطة ثالثة، و«مو معقول» في محطة رابعة.

لماذا يضحك مشاهدو هذا البرنامج أكثر من ضحكهم من مواقف في أفلام ومسلسلات قد تكون أكثر طرافة وإثارة؟

لعل الإجابة واضحة وهي أن المواقف في ذاك البرنامج حقيقية، لا تمثيل فيها، بينما المواقف في الأفلام والمسلسلات تأدية لنصوص مكتوبة!

بعبارة أخرى: لأن ما يقوم به الإنسان الذي أُخفيت عنه الكاميرا.. صادق، لا تكلف فيه ولا تمثيل.

الناس يحبون الصدق، ويرتاحون إليه، ويتأثرون به، ويضيقون من الكذب، ويكرهونه، وينفرون من الخديعة وينقمون من أصحابها.

ولقد أثنى الإسلام على الصدق ثناءً كبيراً، وحث عليه، وأمر به، وذمّ الكذب ذماً شديداً، ونفّر منه، ونهى عنه.

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل

ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً» (متفق عليه).

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ قال: «حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يُريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» (رواه الترمذي، وقال حديث صحيح).

بل لقد عدّ الرسول ﷺ الكذب واحدة من ثلاث علامات للمنافق، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاثة: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» (متفق عليه)، وفي رواية: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

وكان ﷺ يمزح ولكنه لا يقول إلا حقاً، مؤكداً بهذا مكانة الصدق، بل إنه عليه الصلاة والسلام جعل الكذب والإيمان لا يلتقيان مع إمكانية التقاء البخل والإيمان والجبن والإيمان، وذلك في بيان عظيم لقبح الكذب في الإسلام.

لقد سُئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا..» (أخرجه الإمام مالك).

ولقد كان الصدق واحدة من صفتين ظهرتا واضحتين متميزتين في النبي ﷺ قبل البعثة، حتى صارتا وكأنهما اسم علم له فكانوا ينادونه «الصادق الأمين».

وجاء في كلام جعفر بن أبي طالب للنجاشي عن النبي ﷺ: «حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه..»، ثم قال: «.. وأمرنا بصدق الحديث».

وحين نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤). وصعد النبي ﷺ على الصفا وجعل ينادي: «يا بني فهر! يا بني عدي!» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟

فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصدِّقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً.

هكذا يشهدون له ﷺ بالصدق.. أفلا نعجب ممن لا يؤمن بما جاء به عليه الصلاة والسلام من ربه؟

ولقد عاب القران الكريم على قريش ألا تؤمن بالنبي وهو صاحبهم الذي يعرفونه حق المعرفة: ﴿أولم يتفكَّروا ما بصاحبهم مِّن جنَّةٍ إنْ هُوَ إلاَّ نذيرٌ مُّبينٌ﴾ (الأعراف: ١٨٤).

يقول صاحب الظلال يرحمه الله: (والقرآن يدعوهم إلى التفكر والتدبر في أمر صاحبهم الذي عرفوه من قبل وخبروه، فلم يعرفوا عنه من قبل خللاً عن السواء، وشهدوا له بالأمانة والصدق، كم شهدوا له بالحكمة، وحكّموه في الحجر الأسود وارتضوا حكمه، واتقوا بهذا الحكم فتنة بينهم كادت تثور.. واستأمنوه على ودائعهم وظلت عنده حتى خرج مهاجراً فردها لهم عنه ابن عمه عليّ كرّم الله وجهه.

القرآن يدعوهم إلى التفكر والتدبر في أمر صاحبهم هذا المعروف لهم ماضيه كله، المكشوف لهم أمره كله.. أفهذا به جنة؟ أفهذا قول مجنون وفعل مجنون؟ كلا: ﴿ما بصاحبهم مِّن جنَّةٍ إنْ هُوَ إلاَّ نذيرٌ مُّبينٌ﴾)[1].

(لقد عاش النبي ﷺ أربعين سنة قبل البعثة عرفه خلالها قومه حق المعرفة، أفينكرون بعثته الآن؟! أربعين سنة لم يحدثهم خلالها بشيء، ولم يدعهم إلى مبدأ: ﴿قُل لَّوْ شاءَ اللَّهُ ما تلوتُهُ عليكُمْ ولا أدْراكُم بهِ فقدْ لبثْتُ فيكُمْ عُمُراً مِّن قبْلِه أفلا تعْقلُونَ﴾ (يونس: ١٦).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، جزء ٩، ص ١٤٠٥.

إنه وحي من الله ، وتبليغه لكم أمر من الله كذلك ، ولو شاء الله ألا أتلوه عليكم ما تلوته ، ولو شاء الله ألا يعلمكم به ما أعلمكم . فالأمر كله لله في نزول هذا القرآن وفي تبليغه للناس . قل لهم هذا . . وقل لهم : إنك لبثت فيهم عمراً كاملاً من قبل الرسالة ، أربعين سنة ، فلم تحدثهم بشيء من هذا القرآن ، لأنك لم تكن تملكه ، لم يكن قد أُوحي إليك ، ولو كان في استطاعتك عمل مثله أو أجزاء منه فما الذي أقعدك عمراً كاملاً؟)[1] .

إنه الصدق ، ولا غير الصدق ، ولا يمكن أن يكون غير الصدق ، الصدق الذي يدركه العقل ، ويؤكده الواقع ، ويشهد به حتى الأعداء .

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جزء ١١ ، ص ١٧٧١ .

حوار قصير
مع صحفية فرنسية

خلال إقامته في الكويت، زارني في مكتبي زيارة قصيرة الدكتور العربي الكشاط عميد مسجد الدعوة في باريس، وكان حديثٌ طيبٌ عن الدعوة الإسلامية الحكيمة في فرنسا.

ومما حكاه لي الأخ (العربي) حفظه الله، أن صحفية فرنسية دخلت مكتبه، وهي غاضبة ثائرة على الخمار الإسلامي الذي يستر المسلمة.

يقول: بعد أن رحبت بها، وهدّأت من روعها، وطلبت لها ضيافة تشربها، قلت لها: ماذا لو قلت لك إنك غير جميلة!

احمر وجهها.

واصلت حديثي: لعلك ترين أنك بكشفك عن ساقيك وما فوق ركبتيك تظهرين بعضاً من جمال جسمك الذي يشد الأنظار إليك.

أضفت: حسناً. لماذا لا تكشفين صدرك أيضاً؟! ماذا يمنعك من هذا؟ إما لأنك تستحين من كشفه، وإما لأنك لا ترينه جميلاً وتريدين أن تستري ما ليس جميلاً فيك.

وكأنما بهتت فلاذت بالصمت.

قلت لها: المسلمة تحقق بُعدين من أبعاد كثيرة بارتدائها الخمار الذي أثارك وأغضبك. البعد الجمالي والبعد الفطري. فمثلما ترين أن الجمال في سترك أجزاء من جسمك فلا تخرجين عارية، فإن المسلمة ترى الجمال في ستر جسدها

كله، ومثلما يمنعك الحياء من كشف أجزاء من جسمك فإنه يمنع المسلمة من كشف أي جزء فيه.

وانقلب حال الصحفية الفرنسية، بعد هذه الكلمات، إذ حل الهدوء محل الثورة، والتأمل والتفكر محل الغضب.

وأرجو أن نتأمل في حكمة الدكتور العربي الكشاط في تعامله مع هذه الصحفية الفرنسية؛ فهو لم يقابل ثورتها وغضبها بثورة وغضب مثلهما، بل قابلها بالترحيب مهدئاً من ثورانها وغضبها.

لكنه، في الوقت نفسه، لم يسايرها في باطلها، بل حدثها بمنطق ألجمها؛ وأقام الحجة عليها.

صار يخاطب عقلها، ويضرب لها المثل، ويبين لها كيف أن الإسلام، حين يأمر بالمسلمة بالخمار، إنما هو يحرص عليها، ويحافظ على إنسانيتها، وكرامتها، ويحميها حماية تفتقدها السافرات المتبرجات.

وإني لأرجو أن يحرص كل داع إلى الإسلام، وإلى أي قيمة من قيمه ومبدأ من مبادئه، أن يحرص على هذه الثلاثة التي وجدناها لدى الأخ الدكتور العربي الكشاط، وهي:

١ ـ عدم مقابلة غضب أو اهتياج المدعو بغضب أو اهتياج مثله، بل مقابلته بالحلم والصبر.

٢ ـ إكرام المدعو، وإضافته.

٣ ـ ضرب الأمثلة له، ومخاطبة عقله وعاطفته.

شرح الله صدورنا، وسدد أقوالنا وأفعالنا.

استغلال المرأة في الإعلان

بإشراف الدكتور عبدالباسط عبدالجليل، الأستاذ في قسم الإعلام بكلية الآداب بجامعة الكويت، أعد الطالبان فيصل حمود، ومحمد الرشيد بحثاً حول «استغلال المرأة في وسائل الإعلام».

تضمن البحث مقدمة، ثم إجابة عن سؤال: «من أين أتت هذه الفكرة؟»، أي فكرة استغلال المرأة في وسائل الإعلان. وتلاها الإجابة عن سؤال: «لماذا المرأة؟».

بعدها عرض الطالبان الباحثان بعض الأساليب التي تدفع المرأة إلى الإعلان، ومنها: حركة ما يسمى تحرير المرأة - الأوضاع المعيشية (المادة) - حوادث نفسية.

ثم عرضا لدراسات إحصائية تتحدث عن استغلال المرأة، وعرجا على بعض الآثار السلبية التي تُحْدثها فتاة الإعلان، وختما بنشر نتائج استبيان قاما به.

من المعلومات المهمة التي جاءت في الدراسة:

استخدام صورة المرأة وصوتها في ٣٠٠ إعلان تلفزيوني من بين ٣٥٦ إعلاناً كانت موضوع الدراسة.

تكررت هذه الإعلانات ٣٤٠٩ مرات خلال تسعين يوماً فقط.

٤٢٪ من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لم تكن تخص المرأة تحديداً؛ لكنها استخدمت بهدف لفت الانتباه.

٧٦٪ من هذه الإعلانات اعتمد على جمال المرأة وشدة جاذبيتها.

٥١٪ من هذه الإعلانات اعتمد على حركة جسد المرأة دون النشاط المعلن عنه.

٥ ,١٢٪ من هذه الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ ذات إيحاءات جنسية في نصوص التعليق المصاحب للإعلان.

٦ ,٥٧٪ من هذه الإعلانات استخدم فيها الغناء و ٣ . ٥٪ استخدمت طريقة أداء في نصوص التعليق والإعلان بشكل غير لائق.

بلغ عدد الإعلانات الأجنبية مائة إعلان من مجموع العينة، استخدمت صورة المرأة وصوتها في ٩٢ إعلان منها.

ويذكر الطالبان الباحثان أن تشريعات منظمة الصحة العالمية منعت من استغلال صور الأطفال في الدعاية لمنتجات ألبان الأطفال ومن وضعها على أغلفة علب تلك المنتجات . . فلم لا يمنع استغلال صور المرأة في الدعاية للسيارات والسجائر . . وغيرها؟!

أيتهما تختارون؟

في الفصل الأخير من كتابه «مهنتي كملك» الذي روي فيه العاهل الأردني الراحل حسين ذكرياته والأحداث التي مرت به حتى مرحلة السبعينات يقول: (إنني أعتقد أن من العسير جداً إدراك السعادة في هذه الدنيا، سواء أكان المرء ملكاً أم إنساناً عادياً). . هذه الكلمات صدرت عن ملك عاش ملكاً أكثر من أربعين عاماً؛ تؤكد ما يصرّ كثير من الناس على تجاهله وعدم الإيمان به؛ وهو أن السعادة الحقيقية الكاملة لا تكون في هذه الدنيا، إنما في الجنة التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين.

يتساءل الملك الراحل في بقية كلامه قائلاً: (ما هي السعادة؟). . ويجيب: (بالنسبة إلى الأغلبية العظمى من الناس هي الحصول على عمل مغر ممتع، وعلى مرتب جيد، وأسرة لطيفة تستعذبها النفس، والقيام بالرحلات من وقت إلى آخر، وأن يكون للمرء بعض الأصدقاء، وأن يساعد الناس ويساعدوه. . لقد نلت كل ذلك، ومازال كل ذلك في متناول يدي، ولكن هل يعني هذا أنني حقاً سعيد؟ لا أعتقد ذلك).

(لا أعتقد ذلك) هذه هي العبارة التي يختم بها الملك كلامه السابق وتؤكد أنه لم يكن سعيداً حقاً. لم يضمن له الملك، ولا المال، ولا الشهرة، ولاالسلطة، سعادة حقيقية.

إلام يوجه هذا؟ وماذا يعني؟

ألا يوجه إلى ما بصرنا به قرآننا الكريم قبل خمسة عشر قرناً حين وصف الدنيا بـ«متاع» و«متاع الغرور» و«ومتاع قليل» وبأنها «لهو ولعب»: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران/ ١٤)، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ (الرعد/ ٢٦)، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ (غافر/ ٣٩)، ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الزخرف/ ٣٥)، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران/ ١٨٥)، ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيل ﴾ (التوبة/ ٣٨)، ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيل ﴾ (النساء/ ٧٧)، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْو ﴾ (الأنعام/ ٣٢)، ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (العنكبوت/ ٦٤)، ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (محمد/ ٣٦)، ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُ في الأَمْوَالِ وَالأَوْلاد ﴾ (الحديد/ ٢٠).

هكذا يبين لنا الله سبحانه حقيقة هذه الدنيا، وحجم متاعها القليل، بها الزخم من الآيات الكريمة، ويغنينا سبحانه أن ندرك هذه الحقيقة بعد أن يمضي العمر، ويفوت الأوان، وتضيع فرصة إعدادنا للآخرة التي علمنا سبحانه أنها ه الحياة الحقيقية الباقية التي ينبغي على كل عاقل حكيم أن لا يؤثر عليها الدني ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ (العنكبوت/ ٦٤)، ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (الأعلى/ ١٦)، ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (النساء/ ٧٧)، ﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام/ ٣٢)، ﴿ وَلأَ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يوسف٥٧)، ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل/ ٣٠)، ﴿ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (غافر/ ٣٩)، ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴾ (الضحى/ ٤).

بعد هذا كله ماذا يختار العاقل الحكيم؟ألا يختار الدار الآخرة ويعمل لـ ألا يؤثرها على الدنيا؟

لماذا لا نعطي الدنيا النسبة التي تستحقها وأوضحها لنا ﷺ في حد الصحيح الذي أخرجه مسلم «ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحد إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع».

ليضع كل منا إصبعه في البحر وليحسب ما نسبة ما تخرج به إصبعه من ا إلى ما في البحر كله من ماء؟!

بشهادة الخبراء

الخمر مثل المخدرات: أكثر خطورة

صنف الخبراء الهيروويين والكوكايين والكحول بين المواد الأكثر خطورة المسببة للإدمان وفق تقرير مقدم إلىٰ وزارة الصحة الفرنسية .

واعتمد الخبراء، وهم فرنسيون وآخرون، علىٰ عوامل كثيرة في تصنيفهم مثل الإدمان الجسدي والنفسي، ومستوىٰ السم في الدماغ، والآثار الاجتماعية، ومدىٰ توافر العلاج والبدائل(١) .

ما تعليق وسائل الإعلام المختلفة؛ حين يبدأ المشاركون في مؤتمر ما اجتماعاتهم، بتناول المخدرات علناً أمام عدسات وكاميرات الصحفيين والمراسلين؟!! بل ما تعليق رجال الأمن الذين يطاردون متعاطي المخدرات في كل مكان؟!!

ألن يراها العالم كله فضيحة؟ ألن يكون خبراً مهماً يتصدر الصفحات الأولىٰ في الجرائد والمجلات، ونشرات الأخبار في الإذاعات ومحطات التلفزة؟!!

وإذا كان هؤلاء المجتمعون لا يتناولون المخدرات في اجتماعاتهم فإنهم يتناولون الخمر الذي يكاد يكون جزءاً لا يغيب عن حفلات افتتاح المؤتمرات والاجتماعات، وأحياناً أثناء انعقاد تلك المؤتمرات والاجتماعات .

ومادام الخبراء قد صنفوا الخمر بين المواد الأكثر خطورة، مثل الهيروويين

---

(١) وكالة الصحافة الفرنسية وجريدة «السياسة» الكويتية، العدد ١٠٦٢٠ .

والكوكايين، فإن هذا الظهور العلني لتناولها، واعتبارها (نخباً)، خطأ صحي واجتماعي وأمني (إن لم يوصف بأنه جريمة صحية واجتماعية وأمنية).

لقد كان من ضمن الهوامل التي اعتمد عليها الخبراء في هذا التصنيف: (الإدمان الجسدي والنفسي)، ولهل هذا العامل أخطر في الخمر منه في المخدرات، لأن مدمن الخمر في معظم بلدان العالم لا يتخفى، ويشرب الخمر علناً في الملاهي والمقاهي والمطاعم، على العكس من متعاطي المخدرات، وهذا ما يساعد على استمرار الإدمان وقوته لدى محتسي الخمر.

من العوامل كذلك (مستوى السم في الدماغ)، الدماغ الذي هو العقل الذي تميز به الإنسان عن سائر الحيوانات، والذي هو مناط التكليف، فالخطر هنا صحي واجتماعي في وقت واحد؛ أفلا يعجب المرء كيف تباح الخمرة في معظم بلدان العالم وخبراؤه يشهدون بأضرارها الصحية والاجتماعية في الوقت الذي يحرمون فيه المخدرات؟!

(الآثار الاجتماعية) من بين العوامل التي جعلت الخبراء يصنفون الخمر ضمن المواد الأكثر خطورة، ولعل هذه الآثار تجعلها تتقدم على الهيرويين والكوكايين حين يزيد مدمنو الخمر على عدد مدمني المخدرات، وحين لا يردعهم قانون عن تناولها في أي مكان. وتفاصيل الآثار الاجتماعية لا تكفيها هذه السطور القليلة وقد ملأت مجلدات.

هذا الخبر، مثل آلاف غيره، تذكير بعظمة الإسلام الذي حرم الخمر قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ونجح، ومازال ينجح، في حفظ أبنائه منها ومن أضرارها الكثيرة.

عيادات قلوبنا.. مساجدنا

«تصنيع الضحايا: ما تفعله صناعة علم النفس بالناس» عنوان كتاب صدر في الولايات المتحدة الأميركية ثم في بريطانيا وصبت فيه مؤلفته الدكتورة تارا دينين غضبها على مهنة علم النفس العلاجي، واتهمت ممارسيه بالكذب والضحك على الذقون، كما يفعل الدجالون والمشعوذون، وبأنهم يتظاهرون بأن لديهم علاجاً لكل (حالة)، ويؤلفون الكتب الزاخرة بمئات الحالات، مع أن الأغلبية الساحقة من الناس لا تعاني من مرض نفسي يستأهل جلسات مطولة مقابل مبالغ باهظة ربما كان المريض قد استدانها أو حملها على التأمين الصحي الخاص، أو على حكومته في الدول التي تقدم هذه الخدمات مجاناً لمواطنيها.

ويوافق الدكتور ديلان إيفانس الدكتورة المؤلفة الحانقة في أن (العلاج النفسي) المتبع حالياً قد تحول إلى صناعة تعرضت للإساءة البالغة باستغلال أوهام الناس، أو بإيهامهم بأمراض ليس لها في الأصل وجود[1].

ولعل المسلمين، المتوكلين على الله حق توكله، في مقدمة من لا يؤمنون بهؤلاء المعالجين النفسانيين، وأبعد الناس عنهم، وأغنى من في العالم كله عن جلساتهم وعلاجاتهم.

المسلم المتوكل على الله لا يأسى على مافاته، ولا يفرح بما أوتيه في هذه الدنيا؛ (لأنه سيزول عن قريب، وكل زائل عن قريب لا يستحق أن يفرح بحصوله ولا يحزن على فواته، مع أن الكل بقضاء الله وقدره، وما كان حصوله

---

(١) عرض الأستاذ فاروق لقمان بتفصيل أكثر لهذا الكتاب في جريدة «الاقتصادية» السعودية اليومية (العدد ٢١٧٤)

كائناً لا محالة فليس بمستحق للفرح بحصوله، ولا للحزن على فوته)(١).

المسلم مؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولهذا فهو يسير مطمئناً، ويعيش مطمئناً، ويقوم ويجلس مطمئناً.

المسلم رابح دائماً؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له.

استقر في نفسه وقلبه وعقله أن هذه الدنيا أهون عند الله تعالى من جناح بعوضة، وأن ما فيها لا يعدل إلى ما في الجنة ما تخرج به الأصبع لو غمست في البحر إلى البحر كله.

هل يمكن لهذا المسلم الذي يؤدي صلواته الخمس، في الصف الأول في المسجد، أن يحتاج إلى علاج هؤلاء أو أولئك أو غيرهم؟! إنهم، لو علموا ما هو فيه من طمأنينة، ورضا، وسعادة لقصدوه هم يسألونه العلاج! ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: ١٩-٢٣).

ولهذا فنحن لا نعجب حين نجد أن عيادات العلاج النفسي لم تنتشر كثيراً في مجتمعاتنا المسلمة، وأغلقت أبوابها عيادات بعد أشهر قليلة من فتحها.

إن العيادات النفسية التي نقصدها، ولا تتقاضى منا أي أجر، هي مساجدنا التي تتعلق بها قلوبنا، وتهفو إليها نفوسنا، وتسكن فيها جوارحنا. فمن أين يأتينا ما يشتكون منه؟!

(١) زبدة التفسير من فتح القدير - ص٧٢٢.

ما منعه الأمناء

وما منعه أمين الأمناء

برينستون (نيوجيرزي) - رويترز - ذكرت صحيفة «برينستونيات ديلي» أن مجلس أمناء جامعة برينستون في ولاية نيوجيرزي صوت أخيراً بالموافقة على إلغاء الاحتفال الطلابي السنوي الذي يقام تحت عنوان «الاولمبياد العارية» بعد ما تحول احتفال هذا العام إلى فوضى بسبب تعاطي المشروبات الكحولية.

وقالت الصحيفة إن مجلس الأمناء صوت بالموافقة على إلغاء هذا الاحتفال التقليدي الذي ظل يقام بانتظام طوال الثلاثين سنة الماضية والذي يجتمع خلاله عدد كبير من طلاب الجامعة للمشاركة في أنشطة راقصة وهم عراة تماماً عند انتصاف الليلة التالية لأول يوم يتساقط فيه الجليد.

وأشارت الصحيفة إلى أنه بعد انتهاء احتفال العام الحالي تقدمت طالبات عدة بشكوى الى ادارة الجامعة ذكرن فيها أنهن تعرضن لتحرشات جنسية، كما أن اكثر من ١٢ طالباً وطالبة آخرين من بين ٣٥٠ شاركوا في الاحتفال انتهى بهم المطاف إلى المستشفيات بسبب الإفراط في شرب الكحوليات أو بسبب الإصابة بجروح ناتجة من المشاجرات.

وجاء في بيان اصدره مجلس الأمناء أن«المجلس يرى أنه لا يمكن التسامح مع المخاطر التي يشكلها هذا الاحتفال على صحة طلابنا وعلى سلامتهم ويرى المجلس أنه من غير المعقول أن يسمح لاحتفال من هذا النوع أن يستمر».

يذكر أن احتفال «الأولمبيات العارية» بدأ في برينستون في السبعينيات عندما انتشرت ظاهرة التجرد من الملابس والركض على مرأى من الناس وكانت شيئاً

عادياً آنذاك(١).

مجلس أمناء جامعة أمريكية يلغي احتفالاً طلابياً سنوياً مضى على قيامه بانتظام ثلاثين سنة عندما رأى أضراره الكثيرة وشروره المستطيرة.

لماذا إذن يهيج عندنا من يهيج إذا منع مجلس من المجالس، مثل مجلس الوزراء أو مجلس الأمة، ما يؤذي ويضر؟!

بل لماذا يعترضون إذا أمر من هو أعلم بما يضرنا وينفعنا، إذا أمر الله تعالى بمنع كذا وكذا؟!

هل يجب أن نجرب ثلاثين سنة، كما جربوا، حتى ندرك ما يأتي به الاختلاط والتبرج والانحلال من أضرار وأخطار؟!

عدة طالبات تقدمن بشكاوى إلى إدارة الجامعة ذكرن فيها أنهن تعرضن لتحرشات جنسية، وهذا يؤكد الحقيقة التي يريدون أن ينكروها دائماً وهي أن المرأة هي الضحية الأولى لذلك الاختلاط والتفلت والانحلال.. هي الخاسرة الأولى، ومن ثم فإن المرأة هي الرابح الأول من ضوابط الإسلام التي يراها بعض عميان البصيرة قيوداً.

«احتفال هذا العام تحول إلى فوضى بسبب تعاطي المشروبات الكحولية»، «أكثر من ١٢ طالباً وطالبة آخرين من بين ٣٥٠ شاركوا في الاحتفال انتهى بهم المطاف إلى المستشفيات بسبب الإفراط في شرب الكحوليات».

جاء في البيان الذي أصدره مجلس الأمناء بعد إلغائه الاحتفال السنوي: «لا يمكن التسامح مع المخاطر التي يشكلها هذا الاحتفال على صحة طلابنا وعلى سلامتهم، ويرى أنه من غير المعقول أن يسمح لاحتفال من هذا النوع أن يستمر».

صحة الطلاب وسلامتهم إذن غاية مهمة لا يمكن التنازل عنها ولا التفريط

(١) وكالة أنباء رويترز: ٢٨/ ١٢/ ١٤١٩هـ-١٤/ ٤/ ١٩٩٩م.

فيها، والإسلام حين يحرم ما يحرم إنما يرفض التساهل والتفريط في صحة أبناء المجتمع وسلامتهم.

فحين يحرم الإسلام التبرج، والتعري، والخمرة، والمخدرات، والتدخين، وغيرها إنما يحفظ بهذا التحريم سلامة الناس وصحتهم.

ولنقارن هذا الاحتفال السنوي الذي يتجرد فيه الطلبة من ثيابهم وعقولهم وأخلاقهم باحتفال المسلمين السنوي في رمضان، الاحتفال الذي يزدادون فيه قرباً من الله، وطاعة له سبحانه، وهجراً لمعاصيه.. ألن تجدوا الفروق كبيرة جداً، بل اختلافاً كاملاً كاختلاف الليل عن النهار، والظلمة عن النور؟!

وأخيراً فإننا لا نحسب أن عاقلاً سيعترض على ما قام به مجلس الأمناء من منع، فلماذا يعترض «العاقلون» في مجتمعاتنا على ما منعه أمين الأمناء ﷺ؟!

يقدم شهادة على أخطائه!!

قال الأب لأبنائه: يا أولادي احذروا شرب الماء مثلجاً فهذا يؤذيكم، واحرصوا على خلطه بماء من «الفلتر» لتخففوا من شدة برودته.

استجاب الأبناء، إلا واحداً استمر في شرب الماء مثلجا دون أن يخفف من برودته بخلطه بماء «الفلتر» الفاتر.

جاء أحد الأبناء، الذين عملوا بنصيحة والدهم، بدراسة علمية، قرأها في إحدى المجلات الطبية، تذكر أن الأطباء يؤكدون أن شرب الماء المثلج يسبب التهابات في الحلق والمريء والمعدة، وقدمها لوالده فقال له: الحمد لله، هذا يزيدكم طمأنينة إلى صحة ما نصحتكم به.

ترى، لو جاء الابن الذي لم يعمل بنصيحة أبيه، بهذه الدراسة إليه أكان جواب أبيه له مطابقا لجواب ابنه الذي عمل بنصيحته؟ لا شك في أن جوابه سيكون مختلفا.

قد يقول له: هل رأيت يا بني، ها قد قرأت بنفسك صحة نصيحتي لك، فإن لم يكن كلامي قد أقنعك فأرجو أن تقنعك هذه الدراسة.

أردت بهذه الحكاية الرمزية أن أقدم لخبر نقلته وكالة أنباء الشرق الأوسط من تونس، البلد العربي المسلم الوحيد الذي تمنع قوانينه تعدد الزوجات، مخالفاً بهذا الإسلام مخالفة صريحة، وشاهداً على نفسه بأن منع التعدد الحلال وإباحة التعدد الحرام قد أصابه بما أصابه.. فلنقرأ الخبر معاً:

ذكرت إحصائية طبية تونسية حول مرض الإيدز أن ٧٢٪ من العدوى بهذا المرض سببها العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وأن ١٠٪ من الإصابات تأتي من عملية نقل الدم و ٨٪ بسبب العلاقات الجنسية الشاذة.

ونفت الإحصائية أن تكون هناك إصابات بالإيدز عن طريق المخدرات في تونس. . وقالت أن الإصابات من هذا النوع في صفوف التونسيين هي من المقيمين في الخارج.

وأشارت الإحصائية إلى أن الإصابات بمرض الإيدز تطورت خلال السنوات الأخيرة في صفوف الإناث، حيث أشارت إلى وجود امرأتين مصابتين من كل ٧ حالات خلال هذا العام.

وبعد، ألا يشبه حال تونس التي تعترف، من خلال الإحصائية التي أجرتها، بأن ٨٠٪ من عدوى الإيدز إنما نتج عن (العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج) + (العلاقات الجنسية الشاذة)، ألا يشبه حالها حال ذلك الابن الذي لم يطع أباه ثم جاء يحمل إليه دراسة علمية تشهد لأبيه بصدق نصحه، وتشهد عليه بعدم عمله بهذا النصح؟!!.

يا أيها المسؤولون في تونس، لعل في هذه الإحصائية عبرة لكم وعظة، لتتداركوا ما أخطأتم فيه. فتلغوا ذلك القانون الوضعي الذي يمنع تعدد الزوجات، وكل قانون يخالف شرع الله الحنيف. . قبل أن يفتك الإيدز، وغير الإيدز، بالشعب التونسي المسلم!.

مدير المدرسة يغتصب المدرسات واليتيمات طوال ست سنوات!

هذا الرجل يضم بين ضلوعه (وحشاً) رغم الهدوء والأناقة اللتين يعكسهما مظهره العام . . بتلك الكلمات بدأت «إيمانيول تيريبوليه» شهادتها أمام محكمة الجنايات في مدينة أميتز الفرنسية ولم يثنها عن الإدلاء بتلك الشهادة التهديدات التي توعدها بها المتهم، لتنهي مأساة مدرسة كل نزيلاتها من اليتيمات.

وتتلخص وقائع المأساة في قيام «جون بيير ديفوار» مدير مدرسة «الفتيات اليتيمات» ببلدة أميتز الفرنسية باغتصاب المدرسات والفتيات الصغيرات بالمدرسة إلى جانب عدة تهم أخرى منها استغلال النفوذ، وعدم العناية بالنزيلات، وتصوير أفلام جنس لفتيات قاصرات أثناء ممارسة الجنس بالقوة معهن.

ويروي «جويف» نائب مدير المدرسة وأحد الشهود بالقضية أنه منذ دخل تلك المدرسة وهو يعلم أن «ديفوار» رجل طاغية وظالم، لا يقدم العناية اللازمة للنزيلات يتركهن بدون أغطية للأسرة، وعادة كان ينظفها قبيل الحملات التفتيشية الدورية التي تجري كل عدة شهور.

ويستطرد «جويف» قائلاً: إن كل العاملين والتلاميذ بالمدرسة ليسوا إلا عبيداً عليهم الطاعة العمياء لكل أوامره. . ولم يكتف «ديفوار» بذلك بل كان يسخر الفتيات لخدمته الخاصة وغسيل سيارته وجمع الأخشاب للتدفئة. وعرفت فيما بعد، من بعض الفتيات، أنه يعتدي عليهن جنسياً تحت التهديد والضرب والإهانة.

أما الشاهدة التي كانت وراء قصة إلقاء القبض على «ديفوار» ـ «إيمانيول بتريبوليه» ـ فتقول بعد عقد جلسة مغلقة تم فيها عرض مشاهد من بين ٤١ شريط فيديو قام المتهم بتصويرها أثناء ممارسة الجنس والاعتداء والاغتصاب للمدرسات والفتيات. تقول: إنها عملت في المدرسة لمدة ست سنوات كان يغتصبها طوالها ويصورها أيضاً. وإن السبب وراء سكوتها طوال تلك المدة تهديداته بفضحها وتوزيع الأفلام التي صورها لها.

وتتوالى الشهادات بنفس القصة. ولكن تلك الصغيرة ذات العشر سنوات كانت وراء الجرأة التي سقطت على «إيمانيول» وتصميمها على إنهاء المأساة حين

فاجأتها الصغيرة أثناء خروجها باكية من غرفة مدير المدرسة قائلة (لماذا تبكين؟ لا تخافي، اتركيه يفعل ما يريد حتى لا ينتقم منك. نحن جميعاً ننفذ أوامره، فأنا يغتصبني مرة واحد كل أسبوع من أجل الحصول على الطعام. وهذا ما أكدته ٣ فتيات صغيرات حين طلب القاضي سماع شهاداتهن أيضاً؛ حين قلن إن مدير المدرسة كان يربط عملية الطعام اليومي بتنفيذ أوامره والتي من بينها اغتصابهن، وإن سبب سكوتهن اضطرارهن إلى ذلك من أجل العيش[١].

ويأتي حكم القضاء ضد مدير المدرسة بالسجن ٢٠ عاماً مع الشغل والنفاذ.

هذا الخبر يذكرنا بالخبر الذي نشرناه ووقفنا عنده في العدد ١٦٣ من مجلة «النور» تحت عنوان «لم يكتشف جرم الناظر إلا بعد هتكه عرض ٢٣ تلميذة!» فالجاني في الخبرين مدير المدرسة، والضحايا كثيرات: مدرسات وطالبات في المدرسة نفسها! وعدم اكتشاف جرائم الاثنين إلا بعد زمن غير قصير!

(يضم بين ضلوعه وحشاً رغم الهدوء والأناقة اللتين يعكسهما مظهره العام) هذه الكلمات التي وردت في شهادة «إيمانيول تيريبوليه» ضد مدير المدرسة في المحكمة تؤكد حقيقة أن الشكل والمظهر لا يكفيان لنضع ثقتنا في من نريده أن يحمل مسؤولية ما، وبخاصة مثل تلك المسؤولية الخطرة في مدرسة معظم من يعيش فيها ويعمل من الإناث: طالبات ومدرسات.

لقد زاد من قبح جرائم مدير المدرسة أن ضحاياه الطالبات القاصرات: يتيمات! يتيمات يعانين قهر اليتم فزادهن المدير قهراً باستغلاله سلطته واغتصابهن! وتسخيرهن لخدمته الخاصة من غسيل لسيارته وجمع للأخشاب! وتهديدهن بالضرب والإهانة إن لم يستجبن لنزواته وطلباته.

الخبر يؤكد ما نذكره دائما من ضعف القوانين الوضعية في ردع هذا المدير وأمثاله عن ارتكاب آلاف الجرائم المشابهة؛ فماذا تعني عشرون سنة في سجن فيه كل وسائل الراحة؟ وهل تراه يستمر في السجن عشرين سنة أم أنه يخرج بعفو ما؟!

ولقد تأكد ضعف القوانين الوضعية في جرأة المجرم وخوف ضحاياه،

---

(١) مجلة «النهضة» العدد ١٤٠٨.

فالشاهدة التي عملت ست سنوات وكانت إحدىٰ ضحايا مدير المدرسة تبرر سكوتها طوال تلك المدة بتهديداته بفضحها وتوزيع الأفلام التي صورها لها. وكذلك ما جاء في الخبر عن التلميذات (. . وإن سبب سكوتهن اضطرارهن إلىٰ ذلك من أجل العيش) .

ماذا كان يمنع من أن تكون المرأة مديرة لهذه المدرسة؟ ماذا كان يمنع من أن يكون جميع العاملين في إدارة المدرسة من النساء مثلما هو الحال في أكثر مدارس البنات في مجتمعاتنا المسلمة؟! ألم تخرج المرأة عندهم لتعمل في الأعمال كلها؟ ألم يجدوا امرأة تعمل مديرة لهذه المدرسة؟ أما كان هذا واقياً من وقوع هذه الجرائم الكثيرة من مجرم واحد؟!!

لعل قائلاً يقول: . . ولكن مئات مدارس البنات في الغرب يديرها رجال ولم يحدث فيها ما حدث في هذه المدرسة . . ومن ثم فلا يجوز أن تمنعوا الرجال من أن يكونوا مديرين لمدارس البنات، وأن تجعلوا من النادر قاعدة؟!!

ونقول لهؤلاء: وكذلك آلاف الزبائن يدخلون أسواقاً مركزية كل يوم ولايسرقون منها . . ومن أجل واحد فقط تضع هذه الأسواق كاميرات مراقبة وأجراس إنذار . . وغيرها من نظم الأمن.

الصورة المنشورة لمدير المدرسة المجرم تشير بوضوح إلىٰ أنه قريب من الخمسين من عمره، إن لم يكن يجاوزها بسنوات تجعله قريباً من الستين، وهذا يؤكد ما ذكرناه في إحدىٰ وقفاتنا علىٰ الخبر المنشور في العدد ١٦٣ عن ناظر المدرسة الذي كان في التاسعة والأربعين من عمره؛ وهو أن الخطر ليس من الشباب وحدهم . . ولنذكر دائماً أن القواعد في الإسلام من النساء . . وليسوا من الرجال. وليس لأحد أن يبيح اختلاط رجل تجاوز الأربعين أو الخمسين أو حتىٰ السنين بالبنات و النساء ويقول: إنه مثل أبيهم!!

هذا الخبر، وسابقه، والآف غيرهما من الأخبار المشابهة، تؤكد جميعها أنه لن يحفظ الناس جميعهم، وفي الأزمان جميعاً، ويصلحهم وينفعهم، إلا الإسلام وشرعه الحكيم.

مصالح خاصة

وراء «تنمية المرأة»!

هل ثمة صلة بين المرأة والاقتصاد؟

لقد كشفت دراسة علمية مصرية أن اهتمام الدول الصناعية الغربية بالمرأة في الدول النامية هو اهتمام مصالح بحتة، إذ اكتشفت الدول الغربية أن معوناتها ومنحها التي تقدمها للبلدان النامية، رغم أنها مشروطة، لم تحقق هدفها في توسيع دائرة تأثيرها السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والاجتماعي!

وتضيف الدراسة أن الدول المانحة اكتشفت أن المرأة هي المدخل الممتاز والفعال في توسيع دائرة تأثيرها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بصورة خاصة، لأنها المدرسة الأولى لبناء الإنسان والتعبئة الثقافية والأخلاقية، كما أنها أهم مصنع للتنشئة الاجتماعية. ومن الناحية الاقتصادية فهي المسؤولة عن إنفاق ٨٠ ٪ من ميزانية الأسرة، ومن ثم فإن الدول المانحة تخطط الآن لتسخير المرأة في الدول الناميةلتوسيع دائرة نفوذ البلدان المتقدمة في مجتمعاتها باعتبار المرأة الزبون الأساسي لترويج السلع التي تصنعها تلك الدول، وبالتالي ستصبح المرأة المصدر الأساسي لتوسيع أسواق هذه الدول المتقدمة التي ضاقت أسواقها المحلية أمام الإنتاج الضخم الفائض عن حاجتها.

وأوضح معد الدراسة الدكتور محمد نبيل أن الدول المانحة الآن، في ظل العولمة، تتبنى قضايا المرأة في الدول النامية لتكون مدخلاً فعالاً لتحقيق أهداف خاصة تتبناها الشركات العملاقة متعددة الجنسيات التي تخطط لأن يصبح العالم كله، وخصوصاً أسواق الدول النامية، في قبضة يدها، وتتخذ من «تنمية المرأة»

جسراً للوصول إلى ذلك [١].

أليس لنا، بعد عرض موجز لهذه الدراسة، أن نجيب بـ «نعم» على سؤالنا الذي بدأنا به هذه الافتتاحية: هل ثمة صلة بين المرأة والاقتصاد؟

لقد كشفت الدراسة كيف أنهم لا يحملون همَّ تنمية المرأة حقيقة؛ إنما يحملون همَّ تسويق منتجاتهم التي وجدوا المرأة خير من ينفق الكثير على شرائها واستهلاكها.

هكذا تظهر نواياهم المخبوءة وراء دعاوى إصلاح المرأة، ووراء تنظيم تلك المؤتمرات العالمية النسائية، المؤتمرات التي يريدون بها إخراج المرأة من عفافها، وفكّ ارتباطها بدينها الذي يحفظها الله به أحسن ما يكون الحفظ.

إن المرأة القارة في بيتها المنصرفة إلى رعاية زوجها، وتربية أبنائها، تسهم إسهاماً مهماً في تنمية بلدها، وتقوية اقتصاده، أكثر من إسهام العاملة خارج بيتها على حساب زوجها وأولادها.

---

(١) الشرق الأوسط - العدد ٧٨١١ - ١٢/ ١/ ١٤٩ - ١٧/ ٤/ ٢٠٠٠

كيف تنجو من الحزن والاكتئاب والإحباط واليأس؟

ما الأسباب المؤدية إلى الشعور بالحزن والاكتئاب والإحباط واليأس؟

هذا السؤال والإجابة عنه تضمنتهما دراسة مهمة نشرها مركز معالجة الأمراض النفسية التابع لجامعة (فرايبورغ) في جنوب ألمانيا وذلك بتكليف من منظمة الصحة العالمية في جنيف.

أشارت الدراسة إلى إن الخوف يعتبر من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى هذه العوارض النفسية، وأن من الضروري التعمق في البحث عن أسباب الخوف الذي يصيب الناس في مراحل عدة من حياتهم قبل البدء في معالجة الأشخاص المصابين بمثل هذه العوارض التي تنعكس على حياتهم وشخصيتهم وصحتهم، وتصيبها بالشلل، ويزيد عددهم في العالم على خمسمائة مليون شخص.

ويورد الدكتور ماتياس بيرجر، مدير هذا المركز الألماني في فرايبورغ، عدة أمثلة على الخوف الذي يؤدي إلى الحزن والاكتئاب والشعور باليأس والإحباط وحتى الرغبة في عدم الاستمرار في العمل والحياة، ومن هذه الأمثلة شخص أصيب بصدمة نفسية شديدة بعد وفاة والدته وهو في سن مبكرة؛ مما أدى إلى إصابته بالخوف من الموت أو الزواج أو إنجاب الأطفال خوفاً من موتهم المفاجئ وبالتالي إخفاقه في إقامة علاقات اجتماعية أو مهنية سليمة، ولم يعد إلى حالته الطبيعية إلا بعد أن نجح طبيبه النفسي في التعرف على أسباب خوفه المترسب في أعماقه خلال سنوات طويلة.

ويقول الدكتور بيرجر إن الخوف من فقدان أحد الأحياء فجأة يقود إلى

الحزن والاكتئاب، ويؤدي بالتالي إلى الخوف من الناس والمجتمع، وإلى العزلة التي تزيد من مشاعر الخوف واليأس والأرق الدائم، وإلى تدهور صحة الأشخاص الذين يشعرون بالخوف ولا يستطيعون تفسير أسبابه.

وأشار العالم الألماني إلى دراسة سابقة نشرتها منظمة الصحة العالمية عن الخوف وما يسببه من مشاعر الإحباط والاكتئاب وفقدان الاهتمام الذي يحيط بالأشخاص المصابين بالخوف، والإصابة بفقدان الشهوة إلى الطعام والهزال، وعدم الشعور بالقيمة الذاتية.

وأضاف أن هذه الأعراض المرضية لا علاقة لها بالخوف الطبيعي الذي يشعر به كل الناس عادة، ولكنه ينقلب إلى حالة نفسية مرضية عندما يستمر فترة طويلة، وتظهر عوارضه المشار إليها لفترة تزيد على عدة أسابيع؛ منوهاً إلى أن ٨٠٪ من الأشخاص الذين يواجهون عوارض الحزن والاكتئاب والإحباط واليأس والأرق شبه الدائم تراودهم أفكار الانتحار تخلصاً من الآلام النفسية التي تواجههم، وأن ١٥٪ من هؤلاء يقدمون على التخلص من الحياة بصورة مفاجئة.

هل لنا أن نقول إن الخوف الذي يعتبر من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى العوارض النفسية السابقة، من حزن واكتئاب وإحباط ويأس؛ يستله الإسلام من النفس استلالاً بتربيته العقدية والإيمانية الخاصة؟!

نعم؛ فالإسلام يلغي الخوف على فوات الرزق وحلول الأجل (الموت) ويجعل الإنسان مطمئناً تجاههما: قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذرايات/ ٢٢). وقال النبي ﷺ (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها؛ ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته) (رواه البزار والحاكم).

والآيات على أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر كثيرة ومنها قوله سبحانه:

﴿ ولَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (المنافقون : ١١)، ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل : ٦١)، ﴿ ومَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ (آل عمران : ١٤٥).

ولقد أشار العالم الألماني إلى الخوف من فقدان أحد الأحباء فجأة، وضرب مثلاً بشخص أصيب بصدمة نفسية شديدة بعد وفاة والدته وهو في سن مبكرة؛ مما أدى إلى إصابته بالخوف من الموت أو الزواج وإنجاب الأطفال خوفاً من موتهم المفاجئ..

وهذا الخوف لا وجود له أيضاً في النفس المؤمنة بقضاء الله وقدره، النفس الموقنة أن لكل أجل كتاباً، وأنه حتى لو توفي أحد الأطفال لحلول أجله فإنه من أهل الجنة أولاً، لكونه دون سن التكليف، وأنه سبب من أسباب إدخال أبويه الجنة إذا صبرا واحتسبا كما في أحاديث صحيحة كثيرة جمعها السيوطي - رحمه الله - في كتابه (فضل الجلد عند فقد الولد).

ونصل إلى ما جاء في الدراسة من أن ٨٠٪ من الأشخاص الذين يواجهون عوارض الحزن والاكتئاب والإحباط واليأس والأرق تراودهم أفكار الانتحار تخلصاً من الآلام النفسية التي تواجههم وأن ١٥٪ من هؤلاء يقدمون على التخلص من الحياة بصورة مفاجئة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (لا يتمن أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، لأنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً) (رواه مسلم).

هل هناك أجمل من هذا وأحسن: (لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً)، إنها بشارة من النبي ﷺ لكل مؤمن.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه؛ فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً

لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) (متفق عليه).

وهذا أيضاً حديث صحيح واضح في أن المؤمن رابح على الدوام؛ فلماذا تراوده فكرة الانتحار؟: عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: «عجباً لأمر المؤمن: إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

ولعل هذا يفسر ندرة الانتحار بين المسلمين حتى إنه ليختفي تماماً لدى المسلمين الملتزمين الذين نجّاهم دينهم مما يعانيه خمسمائة مليون إنسان في العالم (نصف مليار أو بليون) كما جاء في الدراسة.

وهكذا تتجدد الدعوة إلى البشرية جميعها لتؤمن بالنبي ﷺ والشريعة التي بعثه بها ربه سبحانه لتحيا حياة حقيقية: ﴿**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ (الأنفال: ٢٤).

اشتكت الوحدة

فشكوها إلى المحكمة

حكمت محكمة فرنسية للجنح بتغريم أرملة في السبعين من عمرها مبلغ ستة الآف فرنك فرنسي بتهمة إزعاج الآخرين. وقفت الأرملة العجوز تشرح للقاضي حكايتها: إنني وحيدة يا سيدي منذ وفاة زوجي، لا أحد يسأل عني، لا أحد يزورني.. وقد وجدت الوسيلة الوحيدة للاتصال بالناس أ ن أستخدم الهاتف، كنت أتصل بجيراني فقط لأسمع صوتهمْ، كنت أعرض خدماتي، كنت أعرض عليهم صداقتي.

ولكن القاضي، أمام شكوى الجيران من مكالمات الأرملة، طبق القانون، وحكم بالغرامةعلى الأرملة الوحيدة (١).

إنها واحدة من سبعة ملايين إمراة فرنسية تشكو الوحدة، فهل هذه الوحدة ثمرة من ثمرات ما وصفوه بـ «تحرير المرأة»؟ أليست هذه الوحدة القاهرة قيداً من القيود التي تحرم الإنسان محادثة الآخرين، ومجالستهم، ومؤانستهم والاستئناس بهم؟

لو كانت هذه الأرملة الفرنسية مقيمة في شقة بعمارة من عمارات أي بلد مسلم. أكانت تعاني من هذه الوحدة؟ أما كانت الجارات يزرنها ويستزرنها؟ أما كن يرحبن باتصالاتها الهاتفية؛ بل يبادرنها بها؟

(كنت أعرض عليهم خدماتي) هذا ما قالته الأرملة الفرنسية للقاضي، فهي

---

(١) أرود الخبر الأستاذ عبدالله باجبير في عموده (مع قهوة الصباح) في جريدة «الشرق الأوسط» ٢٥/٣/١٤١٩.

تتوسل إلىٰ الجيران بخدمات تقدمها لهن، ومع هذا فإنهن كن ينصرفن عنها، ويرفضنها! وليت الأمر اقتصر علىٰ الرفض؛ بل لقد تجاوز إلىٰ تقديم شكوىٰ للمحكمة من مكالماتها الهاتفية!

ترىٰ كيف سيكون إحساس هذه الأرملة الفرنسية حين تقرأ حديثه ﷺ الذي يوصي جيرانها بها (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلىٰ جاره) (البخاري ومسلم)، و(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) (متفق عليه)، و(مازال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه) (متفق عليه)، و (حق الجار إن مرض عدته، وإن مات شيعته، وإن افتقر أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح، ولاتؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها) (الطبراني)، و(يا نساء المسلمات: لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) (متفق عليه)، و(خير الجيران عند الله تعالىٰ خيرهم لجاره) (الترمذي).

ألن تستبشر هذه الأرملة، وملايين غيرها، حين يسمعن هذه الوصايا بالجار؟ ألن يسألن عن هذا الدين العظيم ويرغبن فيه ويحببنه؟

أتمنىٰ لو تشكل المراكز الإسلامية في الغرب لجاناً نسائية، تقوم بزيارات لهؤلاء الوحيدات في بيوتهن، تهديهن بعض الهدايا، وتجالسهن، وتشرح لهن الإسلام، عسىٰ الله أن يشرح له صدروهن.

زوجة أكرم من ثلاثة كرماء

متىٰ تستحق المرأة عطاء يصل إلىٰ ضعف عطاء الرجل؟ ولماذا؟

وكيف يكون هذا؟

تعالوا نقرأ ما يلي قبل أن نجيب عن أسئلتنا السابقة :

حدّث سليمان بن أبي شيخ ، حدّث أبو عبداللّه الواقدي قال : أضقت مرة من المرار وأنا مع يحيىٰ بن خالد البرمكي ، وحضر عيد فجاءتني جارية فقالت : قد حضر العيد وليس عندنا من النفقة شيء ، فمضيت إلىٰ صديق لي من التجار فعرفته حاجتي إلىٰ القرض ، فأخرج إلي كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم ، فأخذته وانصرفت إلي منزلي ، فما استقررت فيه حتىٰ جاءني صديق لي هاشمي فشكىٰ إلي تأخر غلته وحاجته إلي القرض ، فدخلت إلىٰ زوجتي فأخبرتها ، فقالت : علىٰ أيّ شيء عزمت؟ قلت : علىٰ أن أقاسمه الكيس . قالت : ما صنعت شيئاً ، أتيت رجلاً سوقة فأعطاك ألفا ومائتي درهم ، وجاءك رجل له من رسول الله ﷺ رحم ماسة تعطيه نصف ما أعطاك السوقة ، ما هذا شيئاً ، أعطه الكيس كله! فدفعته إليه ، ومضىٰ صديقي التاجر إلىٰ الهاشمي وكان له صديقاً فسأله القرض ، فأخرج الهاشمي إليه الكيس ، فلما رأىٰ خاتمه عرفه ، وانصرف إليّ فخبرني بالأمر ، وجاءني رسول يحيىٰ بن خالد يقول : إنما تأخر رسولي عنك لشغلي بحاجات أمير المؤمنين ، فركبت إليه فأخبرته بخبر الكيس . فقال : ياغلام هات تلك الدنانير فجاء بعشرة آلاف دينار ، فقال : خذ ألفي دينار لك ، وألفين لصديقك ، وألفين للهاشمي ، وأربعة آلاف لزوجتك فإنها أكرمكم .

والآن ، بعد أن قرأنا قصة هذا الإيثار العجيب ، وعرفنا كيف كان عطاء

(١) تاريخ بغداد ٣ / ١٩ ـ ٢٠ .

المرأة ضعف عطاء الرجل، نستطيع أن نجيب عن الأسئلة التي قدمنا بها حدينا :

أولاً: حين أراد أبو عبدالله الواقدي أن يقاسم صديقه الهاشمي مافي الكيس؛ أي أن يعطيه ستمئة درهم؛ وجهته زوجته إلى إعطائه ما في الكيس كله، أي ضعف ما أراد زوجها إعطاءه؛ فاستحقت أن تأخذ ضعف ماأخذه زوجها، أي أربعة آلاف، حين تم توزيع العشرة آلاف دينار؛ لأنها كانت، بحق، أكرمهم .

ثانياً: المرأة أعطف على أبنائها من أبيهم، ومن ثم فهي أحرص على أن تبقي لهم ما يحتاجونه، فإذا نجحت المرأة في مدافعة هذا الحرص، والإنفاق بسخاء؛ فإنها تكون أكرم من الرجل .

وهكذا وجدنا زوجة الواقدي، رغم حاجتها مع قدوم العيد، تقول لزوجها الذي أراد أن يحتفظ بنصف ما في الكيس : «ماصنعت شيئاً» أتيت رجلاً سوقة فأعطاك ألفاً ومئتي درهم، وجاءك رجل له من رسول الله ﷺ رحم ماسة تعطيه نصف ما أعطاك السوقة! ما هذا شيئاً! أعطه الكيس كله!

ثالثاً: لم يذكر أبو عبدالله الواقدي في حديثه أن زوجته اشتكت عدم وجود النفقة مع قدوم العيد، إنما الذي اشتكى جارية؛ جاءته فقالت له : قد حضر العيد وليس عندنا من النفقة شيء، وفي هذا تأكيد على زهد هذه الزوجة وعدم استشرافها للمال على الرغم من الحاجة .

هذه امرأة أكرم من ثلاثة رجال كرماء!

مجاهدة مسلمة من تركيا

«شعلة يوكسال» اسم الداعية التركية المسلمة التي مثلت أمام محكمة تركية، بسبب مقال كتبته في جريدة «اليوم» وكان المقال رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء ووزير العمل التركي وإلى الأمة جميعها، بشأن حكم صدر عن المحكمة العليا؛ يبيح التقبيل في الشارع، ويعتبر ذلك أمراً طبيعياً، يتناسب مع الحضارة والتقدم. . !

ولقد اعتُبرت رسالتها تحدياً للنظام القائم، واعتراضاً على علمانية الدستور وأحكامه، وقال النائب العام إن رسالة يوكسال هي دعوة لحركة رجعية في تركيا، ودافعت السيدة «شعلة» عن أفكارها بجراة وحزم.

واعتقلت هذه الداعية المسلمة من أجل مقال آخر نشرته في جريدة «بوجون» بعنوان «آن للنساء أن ينهضن». وتضمن المقال دعوة صريحة للنساء المسلمات إلى العمل، ونقداً لاذعاً للاتحاد النسائي التقدمي.

وقد قوبل المقال، حين نشره، بالنقد الشديد من الاتحادات النسائية، وقد ردت عليهم الآنسة «يوكسال» رداً فنّدت فيه مزاعم الاتحادات النسائية، وردت تهمها.

وبعد الأخذ والرد؛ طالب الاتحاد النسائي بفتح دعوة ضد الآنسة يوكسال، وبعد مناقشة القضية، وسماع مرافعه النيابة والدفاع، قضت المحكمة ببراءة الداعية المسلمةشعلة يوكسال.

وطلبت هيئة المحكمة في نهاية الجلسة من يوكسال إن كانت تحب أن تعلق بشيء؛ فقالت، وقد اغرورقت عيناها بالدمع: «العدل أساس الملك» وشكرت المحكمة على تحريها الحق.

مسلمة شابة من هذا الزمان، تذكرنا بصحابيات وتابعيات ظهرن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

تحدت النظام العلماني، وكتبت منتقدة حكماً صدر عن المحكمة العليا؛ يبيح مفسدة من المفاسد، مستمدة قوتها من إيمانها بالله، مبتغية في كتابتها هذه وجه الله تعالى.

ولم تضعف حين أحالوها إلى المحكمة وأرادوا محاكمة الحق الذي دعت إليه، الحق الذي أصبح في موازينهم باطلاً، دفاعاً منهم عن الفساد الذي هاجمته، الفساد الذي أصدروا له قانوناً يجعله مباحاً.

ولم تخفها محاكمهم، ولم ترهبها علمانيتهم، ولم تنل من عزيمتها قوانينهم، فكتبت ثانية تستحث النساء المسلمات، وتدعوهن إلى العمل من أجل دينهن، وهي تنتقد مهازل ما يسمى بالاتحاد النسائي.

ووقفت وحدها؛ ترد على مزاعم الاتحادات النسائية وتفندها، مستعينة بالله، غير آبهة بكل ما يحاولون به النيل منها.

ونصرها الله، وقضت المحكمة ببراءتها، فسالت دموع الإيمان من عينيها، وهي تردد «العدل أساس الملك».

فيا أيتها الأخت المسلمة، استحثي همتك، وشدّي من عزيمتك، ليكون عندنا مئات الآلاف من أمثال الداعية التركية «شعلة يوكسال» يقلن كلمة الحق، ولا يخفن في الله لومه لائم.

لتكون عندنا «شعلات» يحرقن أباطيل أعداء الله، ويُنْرن دروب الحق والفضيلة أمام النساء.. في كل مكان.

خبر محزن

«اخـرجي». «إلىٰ الخـارج إلىٰ الخـارج»هكـذا صـار أعـضـاء في البـرلمان يوجهون صرخاتهم إلىٰ نائبة دخلت وهي ترتدي (تنورة) قصيرة جداً!!

بم كانت الأقلام تصف هذا التصرف من أعضاء البرلمان تجاه زميلة لهم؟ أتراها كانت تصف تصرفهم بأنه تصرف غير لائق، وغير مهذب، تجاه نائبة كان عليهم احترامها واحترام حريتها الشخصية؟

لقد علق رئيس الوزراء الذي كان حاضراً جلسة البرلمان فقال: «ليس لأحد أن يتدخل في الحياة الخاصة للأفراد؛ ولكن هذا ليس مكاناً خاصاً.. بل هو مؤسسة عليا من مؤسسات الدولة.. وليس مكاناً يتحدىٰ أحد فيه الدولة»!

ولعل سائلاً يسأل: هل ما سبق جرىٰ حقاً؟ وأين؟

ونجيب فنقول: نعم، لقد جرىٰ ما ذكرناه تماماً، وكما نقلته وكالات الأنباء ونشرته الصحف، ولم نغير فيه سوىٰ وصف اللباس الذي كانت ترتديه هذه النائبة؛ ذلك أنها لم تدخل «وهي مرتدية (تنورة) قصيرة جداً» إنما دخلت «وهي مرتدية الحجاب»! وإنما بدلنا وصف لباس النائبة التي دخلت البرلمان التركي لننبه إلىٰ المقاييس المقلوبة! بل إلىٰ العقول والمفاهيم والأحكام المقلوبة!

أليس محزناً هذا الانقلاب للمفاهيم والأفكار؟ أليس محزناً أن تكون الفضيلة جريمة، والمنكر معروفاً؟!

لنقرأ الخبر المحزن كما نقلته وكالة أنبـــاء رويترز في ١٦/ ١/ ١٤٢٠ الموافق ٢/ ٥/ ١٩٩٩:

أنقرة-رويترز: اندلعت حالة من الهياج في البرلمان التركي الجديد أمس في

مشاهد لم تشهدها الجمهورية العلمانية من قبل وذلك لدىٰ وصول نائبة إسلامية جديدة مرتدية الحجاب للبرلمان.

واتهمها رئيس الوزراء التركي «بولنت أجاويد» بانتهاك المبادئ الأساسية للجمهورية التركية، وقال مخاطباً رئيس البرلمان: «أرجوك ضع هذه السيدة في مكانها».

ودخلت مروة قاوقجي نائبة حزب الفضيلة الإسلامي مرتدية الحجاب الذي لف شعرها وعنقها.

وقوبلت «قاوقجي» بصيحات «اخرجي» من جانب المنتخبين عن حزب اليسار الديمقراطي وصفقوا قائلين: «إلىٰ الخارج.. إلىٰ الخارج» فيما جلست «قاوقجي» في هدوء.

وكان أعضاء البرلمان عن الأحزاب الأخرىٰ يراقبون الموقف. وقال «أجاويد» الغاضب أمام أعضاء البرلمان: «ليس لأحد أن يتدخل في الحياة الخاصة للأفراد ولكن هذا ليس مكاناً خاصاً.. بل مؤسسة عليا من مؤسسات الدولة. وليس مكاناً يتحدىٰ أحد فيه الدولة».

وأمر رئيس البرلمان برفع الجلسة. وهو يملك سلطة طرد «قاوقجي» إذا رأىٰ أنها خالفت القوانين.

وأوقف دخول «قاوقجي» المراسم التي يؤدي فيها النواب اليمين علىٰ الولاء (للجمهورية العلمانية) و (مبادئ وإصلاحات أتاتورك).

وكان مصطفىٰ كمال أتاتورك قضىٰ علىٰ نفوذ رجال الدين في تركيا ذات الأغلبية الإسلامية الساحقة في العشرينات.

وجلس رئيس الأركان في شرفة المجلس ومعه أعضاء آخرون من الجيش القوي شديد الولاء لتركة أتاتورك يتابعون النواب بينما يؤدون يمين الولاء.

وحذر جنرالات الجيش «قاوقجي» التي فازت في الانتخابات العامة الشهر الماضي من ارتداء الحجاب أثناء الجلسة .

وفي وقت سابق صفق النواب لنائبة من حزب يميني متطرف ترتدي حجاباً عادة عندما تقدمت إلى المنصة حاسرة الرأس .

ويرى العلمانيون في تركيا الحجاب راية للإسلام السياسي الذي يهدد بالإطاحة بالدستور العلماني الصارم . ويرى الإسلاميون أنْ الحجاب مسألة حرية شخصية .

وأعربت أغلب الصحف عن شكها في السماح لقاوقجي بأداء اليمين وهي مرتدية الحجاب .

وقالت صحيفة «جمهوريت» العلمانية : «منذ عام ١٩٣٧ انتخبت ١٤٧ سيدة . . لم تدخل واحدة منهن البرلمان بحجاب» .

أليس لنا بعد ما قرأناه أن نحيي هذه المسلمة التي تحدت هؤلاء جميعهم ، وتمسكت بحجابها ، ورفضت أن تخلعه ، وجلست في هدوء؟!

ألا تستحق أول امرأة تدخل البرلمان التركي منذ عام ١٩٣٧ بحجابها . . التقدير والرضا؟!

أليس عاراً أن يصفق نواب لنائبة أخرى خلعت حجابها؟!

أليس مؤلماً أن يحاول رئيس وزراء وصل السبعين من عمره ، الانتقاص من هذه النائبة الملتزمة بالحجاب . . بقوله لرئيس البرلمان : «أرجوك ضع هذه السيدة في مكانها»؟!!

التساؤلات كثيرة . . والأحزان عميقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الطمأنينة والسكينة

هل يجلبهما أي دواء؟

هل تأملت في وجه ذلك المسلم العجوز الذي خرج لتوّه من بيته، بعد أن توضأ فيه، قاصداً بيتاً من بيوت الله، لأداء إحدىٰ الصلوات الخمس فيه جماعة مع المسلمين؟

هل رأيت النور الذي يشع من وجهه؟ هل أبصرت السكينة التي انسكبت في نفسه؟ هل أحسست بالطمأنينة تملأ قلبه؟ هل لمحت الرضا يفيض من عينيه؟

ثم هل رأيته بعد خروجه من المسجد الذي أدىٰ الصلاة فيه وهو أكثر نوراً وسكينة وطمأنينة ورضا؟

مثل هذا المسلم هل تراه يحتاج إلىٰ حبة دواء مهدّئ؟ هل يمكن أن تجد واحداً من هؤلاء المسلمين المطمئنين في عيادة طبيب أمراض نفسية أو عصبية يشكو إليه التوتر، أو القلق، أو الكآبة؟!

إن ملايين الناس في العالم سيحسدون هؤلاء المسلمين المطمئنين لو عرفوا ماهم فيه من أمن ورضا وسكينة.

لقد أجرت مؤسسة آي. إم. إس. هيلث (I.M.S.Health) البريطانية دراسة عن سوق الدواء والأمراض، جاء فيها أن نسبة البشر الذين يلجؤون إلىٰ المهدئات بصورة كبيرة ارتفعت خلال عام واحد بصورة كبيرة. وسجلت المؤسسة نسبة زيادة في الولايات المتحدة وبريطانيا وإسبانيا والمكسيك وحدها بلغت ١٣ في المئة، وبلغ سوق المهدئات في ١٣ دولة شملتها الدراسة نحو ٢٥,٥ بليون دولار من بينها ١٣,٥ بليون دولار في الولايات المتحدة و ١,٣ بليون دولار في بريطانيا.

وأظهر تحليل إحصائي للدراسة أن الإنفاق على الأمراض العصبية يفوق الإنفاق على أمراض القلب؛ إذ أنفقت الولايات المتحدة على مداواة الأعصاب ١٣,٥ بليون دولار مقابل ١٢,٧ بليون دولار لأمراض القلب. وأنفقت اليابان على مداواة الأعصاب ٢,٥ بليون دولار مقابل ١,٧ بليون دولار على مرضى القلب.

وليست هناك دراسات وإحصاءات رسمية عن سوق المهدئات في العالم الإسلامي؛ لكنني أطمئن إلى أنها أقل الأسواق العالمية استهلاكاً للمهدئات، وحتى الذين يقبلون على المهدئات؛ فإنهم بالتأكيد ليسوا من أولئك المطمئنين الذين يحافظون على الصلوات، ويسلمون أمورهم إلى ربهم، ويوقنون أن ماأصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم.

يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ (المعارج / ١٩-٢٣).

إن صورة الإنسان - عند خواء قلبه من الإيمان - كما يرسمها القرآن صورة عجيبة في صدقها ودقتها وتعبيرها الكامل عن الملامح الأصيلة في هذا المخلوق، والتي لا يعصمه فيها ولا يرفعه عنها إلا العنصر الإيماني الذي يصله بمصدر يجدعنده الطمأنينة التي تمسك به من الجزع عند ملاقاة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير.

ولكأنما كل كلمة لمسة من ريشة مبدعة يضع خطاً في ملامح هذا الإنسان. حتى إذا اكتملت الآيات الثلاث القصار المعدودة الكلمات.. نطقت الصورة ونبضت بالحياة وانتفض من خلالها الإنسان بسماته وملامحه الثابتة: هلوعاً جزوعاً عند مس الشر، يتألم للذعه، ويجزع لوقعه، ويحسب أنه دائم لاكاشف له. ويظن اللحظة الحاضرة سرمداً مضروباً عليه، ويحبس نفسه بأوهامه في قمقم من هذه اللحظة وما فيها من الشر الواقع به. فلا يتصور أن هناك فرجاً، ولا يتوقع

من الله تغييراً، ومن ثم يأكله الجزع، ويمزقه الهلع، ذلك أنه لا يأوي إلى ركن ركين يشد من عزمه، ويعلق به رجاءه وأمله.. منوعاً بالخير إذا قدر عليه، حسب أنه من كده وكسبه فيضن به على غيره، ويحتجنه لشخصه، ويصبح أسير ما ملك منه، مستعبداً للحرص عليه! ذلك أنه لا يدرك حقيقة الرزق ودوره هو فيه، ولا يتطلع إلى خير منه عند ربه وهو منقطع عنه خاوي القلب من الشعور به.. فهو هلوع في الحالتين.. هلوع من الشر.. هلوع على الخير.. وهي صورة بائسة للإنسان حين يخلو قلبه من الإيمان.

ومن ثم يبدو الإيمان بالله مسألة ضخمة في حياة الإنسان، لا كلمة تقال باللسان، ولا شعائر تعبدية تقام. إنه حالة نفس ومنهج حياة، وتصور كامل للقيم والأحداث والأحوال. وحين يصبح القلب خاوياً من هذا المقوم فإنه يتأرجح ويهتز وتتناوبه الرياح كالريشة! ويبيت في قلق وخوف دائم، سواء أصابه الشر فجزع، أم أصابه الخير فمنع، فأما حين يعمره الإيمان فهو منه في طمأنينة وعافية، لأنه متصل بمصدر الأحداث ومدبر الأحوال؛ مطمئن إلى قدره شاعر برحمته، مقدر لابتلائه، متطلع دائماً إلى فرجه من الضيق، ويسره من العسر. متجه إليه بالخير، عالم أنه ينفق مما رزقه، وأنه مجزي على ما أنفق في سبيله، معوض عنه في الدنيا والآخرة.. الإيمان كسب في الدنيا يتحقق قبل جزاء الآخرة، يتحقق بالراحة والطمأنينة والثبات والاستقرار طوال رحلة الحياة الدنيا (١).

إنها الطمأنينة، وإنها السكينة، وإنه الرضا، سعادات نفسانية لا يمكن لأي دواء أن يوفرها كاملة.. ووفرها الإسلام لأبنائه.

---

(١) في ظلال القرآن - مجلد ٦ - جزء ٢٩ - ص ٣٦٩٨-٣٦٩٩.

وصاياهم إسلامية وإن لم يعلموا

يبحثون ويدرسون ويجربون، ثم يصلون إلى نتائج مهمة من أبحاثهم ودراساتهم وتجاربهم، وإذا ما نظرت في تلك النتائج وجدتها موافقة لما يدعو إليه الإسلام العظيم. أي أن إسلامنا يغنينا عن كثير مما يصلون إليه، ويوفر علينا الوقوع في الخطأ والتعلم منه.

«اكتشاف الحياة الطويلة» اسم الكتاب الذي صدر للبروفيسور الإيطالي كارلو فرياتي مدير معهد دراسات الشيخوخة، وتضمن عشر وصايا لعيش الحياة بحيوية وصحة جيدة بعيدا عن مشكلات الدواء والقلق والانغلاق النفسي.. دون أوهام تناول إكسير الحياة.

وأوضح البروفيسور بأن الأهم من إطالة الحياة هو تحسين وتجميل طريقة ممارستها بالاعتماد على الارتقاء بسلوك الفرد.

أما الوصايا العشر التي أوردها في كتابه فهي:

- اتباع حياة يومية صحية تخلو من التدخين وتناول الكحول، مليئة بالحركة، زاخرة بالقناعة بأهمية الإقبال على الحياة.

- عدم التواجد في أماكن مليئة بالتلوث السمعي أو البصري أو البيئي.

- متابعة النظام الغذائي الجيد بتجنب الدهون، وعدم المغالاة في استخدام السكريات مع تناول مستمر للخضراوات والفاكهة.

- زيادة نسبة الكالسيوم ومكافحة نقصه في الجسم؛ ويفضل أن يتم ذلك عن طريق تناول الأطعمة الغنية بالكالسيوم.

- تجنب التعرض الطويل للشمس.

ـ إصلاح العيوب السمعية والبصرية بالكشف الدوري المستمر لدى الطبيب، مع إجراء فحوصات دورية للأعضاء الفسيولوجية.

ـ مقاومة مخاطر التوتر واليأس، وإيجاد أهداف وطموحات لتحسين نوعية الحياة، وتعزيز العلاقات الاجتماعية، والعثور على اهتمامات مشتركة مع الآخرين.

ـ تجنب استخدام الدواء بصورة عامة، وفي حالة الاضطرار يجب الاختيار الجيد للدواء وخفض استخدامه.

ـ تنشيط الذاكرة وترغيب النفس في القراءة؛ خاصة قراءة الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية لمتابعة مشكلات العالم وأزمات الآخرين؛ فمن يرَ همو غيره تهن عليه همومه.

ـ الاقتران بالشريك المناسب ورفض حياة العزوبة[1] .

كما ذكرت فإن النظر في هذه الوصايا العشر وتأملها يظهر لنا أن الإسلام سبق إليها، ودعا إلى كثير مما تدعو إليه.

فالوصية باتباع حياة يومية تخلو من التدخين والكحول؛ المحرمين في الإسلام، الأول ـ أي التدخين ـ في رأي كثير من العلماء الثقات المعاصرين والثاني ـ أي الكحول ـ بصريح القرآن والسنة وإجماع فقهاء الأمة.

والأمراض الكثيرة المهلكة الناتجة عن الخمرة والتبغ بات يعلم بها الناس جميعاً، ويشهد بها الأطباء في كل أنحاء العالم، وصار ضحايا تلك الأمراض بالملايين.

والوصية نفسها تدعو إلى حياة مليئة بالحركة، ولانحسب مثل الإسلام د تقوم عباداته على الحركة، ويشجع عليها، ويبارك فيها، فالصلاة حركات تش

(١) وكالة أنباء الشرق الأوسط: ١٩/ ٥/ ١٤١٨هـ ـ ٢٢/ ٩/ ١٩٩٧م، القبس (٨٧١٢).

أعضاء الجسم جميعاً تقريباً، والتوجه إلى المسجد لأدائها فيه والعودة منه فيهما من الحركة ما فيهما، والحث على العمل والكسب في الإسلام تشهد به آيات كريمة وأحاديث نبوية كثيرة.

والوصية نفسها تدعو إلى القناعة بأهمية الإقبال على الحياة، وهذا أيضاً ما يدعو إليه الإسلام حين يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، وحين يخبرنا أن خيرنا من طال عمره وحسن عمله، وحين يحرم علينا الانتحار، وحين يطرد اليأس من قلوبنا ويبعث مكانه حسن الظن بالله تعالى.

أما الوصية بعدم التواجد في أماكن مليئة بالتلوث السمعي أو البصري أو البيئي فهي إسلامية في مضمونها؛ لأن الإسلام يأمر بغض البصر ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾ (النور: ٣٠)، ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ** ﴾ (النور: ٣١). ويأمر أيضاً بغض الصوت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** ﴾ (الحجرات: ٣)، ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ** ﴾ (لقمان: ١٩)، لاشك في أن غض الإنسان صوته يقتضي منه غض أصوات المذياع والتلفاز وغيرهما من محدثات الضوضاء والصخب الملوثة للسمع، وتحريم الإسلام للمعازف يحفظ سمع الإنسان من ذلك التلوث السمعي.

والوصية بمقاومة مخاطر التوتر واليأس وإيجاد أهداف وطموحات لتحسين نوعية الحياة، وتعزيز العلاقات الاجتماعية، والعثور على اهتمامات مشتركة مع الآخرين، وصية إسلامية في حقيقتها لأنها تدعو إلى ما يدعو إليه الإسلام أتباعه ويوصيهم به كما هو واضح في هذه الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة.

﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران/ ١٣٩).

﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ (البقرة/ ٢٥).

«عن أبي يحيىٰ صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم؛ مثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ» (متفق عليه).

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (متفق عليه).

والحق أن القرآن الكريم كله، والسنة النبوية جميعها، يحققان غاية هذه الوصية حين يبعدان عن المسلم مخاطر التوتر واليأس، ويعززان العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم، ويوحدان أهداف المسلمين بجعلها تبتغي رضوان الله تعالىٰ.

ونصل إلىٰ الوصية بالقراءة لمعرفة مشاكل العالم وأزمات الآخرين لأن من ير هموم الآخرين تهن عليه همومه.

وهذا ما يدعونا إليه النبي ﷺ حين يأمرنا بالنظر إلىٰ من هم دوننا لا من هم فوقنا حتىٰ لا نزدري نعمة ربنا علينا.

وكذلك حين يعلمنا أن نحمد الله تعالىٰ عندما نرىٰ مصائب الآخرين: «الحمد لله الذىٰ عافانا مما ابتلىٰ به كثيراً من خلقه».

وتبقىٰ الوصية الأخيرة بالاقتران بالشريك المناسب ورفض حياة العزوبة وهذا يتفق تماماً مع دعوة الإسلام الذىٰ يرفض الرهبانية ويدعو إلىٰ الزواج ويحث عليه كما لا يحث عليه دين أو منهج أخر.

كيف تتخلصون من همومكم؟

وتحلون مشكلاتكم؟

لا تعانوا في صمت.

إذا كنتم لا تستطيعون أن تتحدثوا عن مشاكلكم فاكتبوها.

الكتابة ستجعلكم تشعرون بالراحة، وتوفر لكم، على المدى الطويل، تقدماً في الصحة، وتساعدكم على مقاومة الأمراض.

عالم النفس الأميركي «جيمس بين بايكر» وصل، مع زملائه، إلى هذه النتيجة بعد دراسات أجراها على طلبة إحدى الجامعات الأميركية.

لقد طلب من طلبة الجامعة أن يكتبوا على الورق، مدة عشرين دقيقة يومياً، وعلى مدى أربعة أيام متتالية، حول أحداث كبيرة لم يشاركوا غيرهم فيها، أو حتى عن موضوعات سطحية.

قام الطلبة، قبل الكتابة وبعدها، بملء استبيان من أجل التعرف على حالاتهم النفسية، مثل كونهم مكتئبين، وعلى أعراضهم الجسدية.. مثل الصداع وتوتر العضلات، وأخذت منهم عينات من دمائهم لتحليلها.. قبل الكتابة بيوم.. وفي آخر يوم من الكتابة.

كيف كانت النتيجة؟ هل ساعدت الكتابة هؤلاء الطلبة على التخلص من همومهم؟

عندما قام الباحثون بتفحص عينات الدم التي حصلوا عليها، بعد اليوم الرابع من الكتابة، وجدوا دلائل على زيادة المناعة عند الطلبة، فالخلايا الليمفاوية

(كريات الدم البيضاء التي تهاجم البكتريا والفيروسات) زادت من مقاومتهم للأمراض.

استمرت هذه التجارب ستة أسابيع، وعندما تمّ فحص الدم مرة أخرىٰ، ظهر أن الطلبة الذين كتبوا عن همومهم ومشاكلهم التي لم يخبروا بها أحداً من قبل كانوا، أفضل صحة، وأكثر مناعة، وأقوىٰ في مقاومة الأمراض.

يقول بين بايكر: «كثير من الناس يعيش وسط همومه وتجاربه المحزنة، ويريد أن يشاركه آخرون في ذلك.. لكنه لا يستطيع»

ويضيف «ومن ثم.. فإن كتابة الهموم علىٰ الورق.. تساعده علىٰ ذلك»

كانت هذه ترجمة لما نشر في مجلة أميركية، تحدثت عن أثر كتابة المرء لهمومه ومشكلاته في تحسين صحته، وزيادة مناعته، وقوة جسمة ونفسه.

ولقد علل الباحث الأميركي «جيمس بين بايكر» دور الكتابة في تحقيق هذا الأثر الإيجابي علىٰ صحة الإنسان بأنها، أي الكتابة، تقوم مقام مشارك يستمع إلىٰ همومك، ويشاركك فيها، كما فهمنا في نهاية الخبر.

ترىٰ كيف تكون صحة الإنسان، بل كيف يكون حاله كله، إذا سلك طريقاً أفضل من الكتابة، وأكثر عطاء منها، وأعظم في توصيلها؟! وبخاصة إذا كان الإنسان يأمل من ورائها حلاً لمشكلاته، وجلاء لهمومه، وزوالاً لضيقه؟!

إنه الدعاء. دعاء العبد المؤمن ربه. فالمؤمن في دعائه يتوجه إلىٰ ربه بهمومه وأحزانه، وضعفه وعجزه، ويرجو ربه كشفها، ويعتقد موقناً أنه سبحانه القادر علىٰ هذا «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

يعرف العلماء الدعاء بأنه طلب العون من الله عز وجل. ممن؟ من الله.. القادر، الغني، مدبر الأمور، كاشف الضر، فكيف لا يكون الدعاء أعظم أثراً ـ وبدرجة كبيرة ـ من الكتابة؟!

كيف لا يترك الدعاء آثاره الإيجابية الكبيرة على صحة الإنسان الجسدية والنفسية وهو يدعو ربه القائل ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة: ١٨٦).

كيف لا يترك الدعاء أثره، والمسلم يناجي ربه خمس مرات في اليوم على الأقل، يدعوه ويستعينه ويستهديه؟!

كيف لا تصفو نفسه، ويطمئن قلبه، ويقوى جسمه، وهو يجلس بين يدي الله تعالى، إثر كل صلاة، يتوجه إليه بحاجات، ويشكو إليه ظلم الناس، ويسأله الرزق، والعافية، والمغفرة؟!

ليت علماءنا يقومون أيضاً بدراسات وأبحاث، لمعرفة آثار الصلاة على المسلم، فيحللون الدم، ويقيسون النبض والضغط، لمن يصلي ومن لا يصلي، ويسجلون النتائج، ويقارنون.. فنحن واثقون أن الفوارق ستكون كبيرة.

لقاء مع متعاطية وتاجرة

حين تبتعد الأم والأب والأهل

ل. م. في الحادية والعشرين من عمرها. تقيم الآن في السجن. مطلقة وأم لطفلة.

ما الذي أدخلها السجن؟ تجارة المخدرات وتعاطيها!

كيف صارت تاجرة مخدرات ومدمنة عليها؟

لقد أجرت معها جيلان سامي، الصحفية بجريدة «الوطن» اليومية الكويتية لقاء خلف أسوار السجن، سألتها فيه هذا السؤال: ما تفاصيل إدمانك للمخدرات؟ فأجابت بما يلي:

(لقد بدأت التجربة بسيجارة عادية مع «الصديقات»! ثم تحولت بعد فترة إلى الحشيش الذي شجعني عليه شقيق زوجي، فكنت قريبة منه بعد أن طلقني زوجي عندما اكتشف أنني مدمنة مخدرات وأخذ مني بنتي.. ومنذ تلك اللحظة وأنا في الشارع أعتمد على نفسي!!.. أصرف من معاش الشؤون الذي لم يكن يكفيني أكثر من يومين).

وتسألها الصحفية: وأهلك.. أين كانوا؟ فتجيب:

(حاولت الذهاب لأستعطفهم وأطلب رحمتهم، لكنهم طردوني، ولم أكن أعرف أي شيء عن أمي منذ عام ١٩٩٣.. حتى فوجئت بها قبل أيام تطلب زيارتي في السجن بعد كل هذه السنين)!!

وتسألها عن إبر المخدرات التي تتعاطاها كل يوم وثمن كل إبرة فتجيب: (أكثر من أربع إبر في اليوم وتكلفة الواحدة ٢٥ ديناراً)!

١٠٠ دينار في اليوم؟! كيف تحصل على هذا المبلغ الكبير؟

تجيب قائلة (في البداية، عندما أدمنت بعت ذهبي كله، وكنت أنفق نقود ابنتي التي أتلقاها بعد أن استرجعتها من والدها وكذبت عليه زاعمة أنني تبت من الإدمان).

ثم تقول (. . والآن، عندما أسترجع ما كنت أفعله خارج السجن أشعر أنني لم أكن أماً . . بل كنت وحشاً كاسراً. كيف كان يطاوعني قلبي أن أترك ابنتي جائعة ومريضة وأشتري مخدرات بالنفقة التي يصرفها لي والدها!!) وتجهش في البكاء وهي تقول (أنا لست أما. أنا أستحق الموت. اقتلوني قبل أن تعرف ابنتي حقيقتي).

هذا عن تعاطيها المخدرات وإدمانها عليها. . فماذا عن تجارتها فيها؟

تقول: «بدأت حياتي مبكراً، وكنت أصغر تاجرة مخدرات. مارست هذه التجارة منذ كنت طالبة في المدرسة المتوسطة لأصبح بذلك أصغر تاجرة مخدرات، كان سني ١٢ سنة، وكما قلت فقد كانت أمي بعيدة عني تماماً. . ولم توجهني في يوم من الأيام. لقد بدأت شرب الحشيش وأنا في المدرسة، وكنت الوحيدة فيها التي تشربه، ولم يكن أحد يعلم عني شيئاً، وكانت هناك امرأة قريبة من منطقتنا أذهب إليها يومياً فأعطيها ظرف هيروين وتعطيني سيجارة الحشيش»!

ولكن. . من أين كانت تحصل على الهيروين؟

«كان لي معاشي من شؤون القصر وقدره ١٤٠ ديناراً»

تسألها المحررة: من الذي سمح لك بالتصرف في معاشك الشهري على هذا النحو؟

تجيب «فقدي والدي صغيرة ولم أجد أحداً بجانبي. لم يكن لدي أهل أصلاً حتى يسمحوا أو لا يسمحوا».

وتسألها المحررة من جديد «ولو لم يكن هناك معاش من شؤون القصر كيف كنت ستحصلين على الهيروين؟

تقول «كنت على استعداد لفعل أي شيء حتى لا أحرم من سيجارة الحشيش!!».

هذا بعض ما جاء في اللقاء الذي كان الحلقة الأولى من سلسلة لقاءات نشرتها «الوطن» تحت عنوان «حكايات من خلف أسوار السجن». ولاشك في أنني لم أقتطع تلك الأسئلة وإجابات السجينة عنها إلا لأخرج منها بعبر وعظات ووقفات أجملها في ما يلي:

ـ لقد وجدنا كيف كانت البداية بالتدخين (بدأت بسيجارة عادية مع الصديقات، ثم تحولت بعد فترة إلى الحشيش)، فالانحراف الصغير (إذا جاز لنا أن نصف التدخين بأنه انحراف صغير) ساقها إلى إنحرافها الكبير في تعاطي الحشيش والمتاجرة به.

ومن هنا فإن عدم التهاون في منع الانحرافات الصغيرة يحفظ من الوصول إلى الانحرافات الكبيرة؛ فالنار من مستصغر الشرر كما نعلم.

ـ إذا أكملنا عبارتها السابقة لنعرف أول من دفعها إلى هذا الانحراف فسنجد شقيق زوجها (... إلى الحشيش الذي شجعني عليه شقيق زوجي الذي كنت قريبة منه بعد أن طلقني زوجي!) ومن هذه العبارة نتساءل عن القرب الذي أشارت إليه من شقيق زوجها لنذكر حديثه صلي الله عليه وسلم (الحمو الموت). ولا أريد أن أفصل الحديث أكثر فلا شك في أن القارىء فهم العبرة الثانية.

ـ بقية عبارتها تكشف عن سلبية في زوجها أو تقصير (طلقني زوجي عندما اكتشف أنني مدمنة مخدرات) فقد كان عليه أن يعالج زوجته أو يبلغ عنها جهات تتولى أمرها مثل لجنة (بشائر الخير) فلعل الحال لم تصل إلى ما وصلت إليه بعد ذلك.

ـ أهمية قرب الأم من أبنائها وبناتها، ودوره في حفظهم من شرور وآفات كثيرة، تتأكد في بعد أم السجينة عنها كما وجدنا في قولها (لم أكن أعرف أي شيء عن أمي منذ عام ١٩٩٣)!!

وكذلك بعد الأب ورقابته (فقدت والدي صغيرة) وبعد غيره من الأهل (ولم أجد أحداً بجانبي).

وبعد فإن أهم ما نخرج به هو أن تجارة المخدرات جريمة يجب أن تقمع بالحديد، أن تكون عقوباتها أشد مما هي عليه الآن، ولقد وجدنا امرأتين ورجلاً سهلوا لها الحصول على المخدرات وتعاطيها: شقيق زوجها، والمرأة التي تبيعها الهيروين، والمرأة التي تبدل لها حشيشاً.. أفترى هؤلاء معها في السجن الآن أم أنهم مازالوا طلقاء؟!!

يصيب ٧٠٠ مليون طفل بالأمراض

ألا يكفي هذا لمنعه؟!!

لو أن لعبة من الألعاب، المباعة في الأسواق، تلحق الأذىٰ بعشرة آلاف طفل في العالم كل عام، لمنعت حكومة البلد، الذي تصنع فيه هذه اللعبة، إنتاجها، ولمنعت حكومات البلدان الأخرىٰ استيرادها، وصادرت ما وزِّع منها في الأسواق.

ولو أن دواء خاصاً بالأطفال، ظهرت له أعراض ضارة بهم، وإن كانت نسبة الأطفال المصابين بها لا تتجاوز الواحد في الألف، لمنعت وزارات الصحة استيراد هذا الدواء إلىٰ بلدانها، ومنعت بيعه في صيدلياتها.

ألا نعجب، بعد هذا، من عدم منع استيراد شيء، يتناوله الآباء والأمهات، فيلحقون بأنفسهم أضراراً عظيمة، وأمراضاً خطيرة، ولا ينجو أبناؤهم وبناتهم من هذه الأضرار والأمراض.. حتىٰ إن عدد من يصاب بها من الأطفال في العالم يصل إلىٰ ٧٠٠ مليون طفل؟!!

أجل، سبعمائة مليون طفل، لا عشرة آلاف، ولا مئة ألف، ولا مليون، بل سبعمائة (مليون) طفل يصابون بأمراض يسببها تناول أبائهم وأمهاتهم ذلك الشيء الذي لا تمنع صناعته ولا يمنع استيراده وبيعه!.

ولعلكم حزرتم هذا الشيء، إنه التبغ، وتناوله الذي يُدعىٰ بـ «التدخين» فقد ذكر تقرير صادر عن منظمة الصحة العالمية في جنيف أن هناك نحو ٧٠٠ مليون طفل في العالم يعيشون في منازل يدخن فيها أولياء أمورهم فيسببون لهم الأمراض المختلفة، ومنها أمراض الجهاز التنفسي التي يقف تدخين الأبوين وراء ٧٠٪ منها.

ألا يكفي هذا لمنع تصنيــع التبــغ في لفافــات؟ ألا يكفي لمنــع استيراده؟ ألا يكفي لحظر بيعه؟ ألا يكفي لتحريم استهلاكه؟

لقد ذكر التقرير السابق أن تكاليف الإنفاق على علاج الأمراض، الناتجة عن التدخين، في الولايات المتحدة وحدها، تصل إلى مليار دولار سنوياً، فكم هي تكاليف الإنفاق في العالم كله على علاج تلك الأمراض؟! أليست عشرات مليارات الدولارات؟!.

وهذه العشرات من مليارات الدولارات ألا تكفي لإطعام ملايين الأطفال الجوعى في العالم؟ ألا تكفي لعلاج ملايين الأطفال المرضى في العالم؟ ألا تكفي لكساء من هو شبه عار، وتعليم من حرم من التعليم، من أطفال يعدون بعشرات الملايين في العالم؟

يخافه الرجل وتحبه المرأة!

أظهر استطلاع للرأي أن الرجال البريطانيين يفزعون من الإقدام على الزواج أكثر من فزعهم من رؤية الدم.

وأوضحت نتائج الاستطلاع أن الرجال يخشون من الزواج أكثر ثلاث مرات من النساء اللاتي وضعن الزواج في ذيل قائمة الأشياء المخيفة بالنسبة إليهن.

لقد أكدت نتيجة هذا الاستطلاع حقيقة تقول إن المرأة تجد في الزواج استقرارها وهناءها وسعادتها وطمأنينتها أكثر مما يجد الرجل فيه، ومن ثم فإن توجيه الضربات إلى مؤسسة الزواج يؤذي المرأة أكثر مما يؤذي الرجل، ويحرمها الاستقرار والطمأنينة أكثر مما يحرم الرجل.

ولهذا فإن الخاسر الأكبر من انخفاض معدلات الزواج في الغرب هو المرأة وليس الرجل، وعليه فإن الزعم بأن الغرب يمنح المرأة حريتها لا يتفق مع هذه الحقيقة التي تشير إلى أن الرجل هو الذي يزداد حرية والمرأة تزداد أسراً.

إن خوف الرجل من الإقدام على الزواج هو خوف من حمل مسؤولية لايحب أن يحملها، مسؤولية يراها تشكل عليه قيوداً كثيرة يريد أن يتفلت منها، ولهذا أظهر الاستطلاع تخوف الرجل من الإقدام على الزواج أكثر من أشياء كثيرة يخافها ومنها رؤية الدم، ولعل مثلاً شائعاً في الغرب يعبر عن هذه الخشية في نفس الرجل من الزواج. يقول هذا المثل «لماذا أربي بقرة من أجل أن أشرب كأس حليب واحد في اليوم»!!

بينما وجدنا المرأة تضع خوفها من الإقدام على الزواج في ذيل الأشياء المخيفة لديها، ولعلها حقيقة لا تخافه أبداً، إنما هم واضعو الاستطلاع عدوه من

بين الأشياء التي سألوا عنها الرجل والمرأة ومدى خوفهما منها، فلم تجد المرأة إلا أن تجعله آخر الأشياء التي تخافها، ولو وضعوه بين الأشياء التي تحبها لجعلته المرأة أول شيء.

ومن هنا فإن الإسلام حين يمنع الرجل من قضاء وطره خارج الزواج، فإنه بهذا يحقق للمرأة غاية من غاياتها، ويحميها، ويحمي معها المجتمع كله.

(١) وكالة الأنباء الألمانية: ٢/ ١٢/ ١٤٢٠هـ-٨/ ٣/ ٢٠٠٠م.

نقدر على منع دواء
ونعجز عن منع شراب يسبب عدة أدواء!

ـ «تبين أن دواء مسكناً قد يدفع متعاطيه إلى ارتكاب جريمة قتل. وقد أمرت السلطات بمنع تصنيع هذا الدواء، ومصادرة ما وزع منه على الصيدليات، وحظر بيعه».

ـ «ظهرت دلائل على أن أحد الأدوية المضادة للحموضة يمكن أن يدفع متناوله إلى الانتحار. وحذرت السلطات منه وأمرت بمنع إنتاجه وبيعه».

ـ «أصدرت وزارة الصحة قراراً بمنع شراب مكافح للسعال بعد أن تأكد تأثيره المخدر على سائقي السيارات وارتكابهم حوادث سير خطيرة».

ما أحسب أحداً يعترض على منع هذه الأدوية وكل منها يقف سبباً وراء ارتكاب جرائم قتل، أو انتحار، أو وقوع حوادث سير!

كيف يكون الحال لو كان دواء واحد سبباً في هذه الثلاثة معاً.. لا واحداً منها: الانتحار، وارتكاب جرائم القتل، ووقوع حوادث السير؟

وكيف يكون الحال لو أن هذا الذي يفعل تلك الثلاثة، وأكثر منها، ليس دواء؟! بل شراباً أجمع الأطباء على أضراره الصحية المتعددة؟!

ألا يعجب المرء حين لا تصدر السلطات قراراتها بمصادرته، ومنع تصنيعه، وحظر بيعه؟!!

ها كم بعض الأرقام التي تظهر كثرة الأضرار الناتجة عن الخمر وشدتها:

ـ في دراسة عن الجريمة قامت بها منظمة الصحة العالمية في ثلاثين دولة ظهر

أن حوالي ٨٦٪ من جرائم القتل و ٥٠٪ من جرائم الاغتصاب تمت تحت تأثير الكحول.

ـ أكد العلماء في مجال معالجة الإدمان على الخمور أن الانتحار يزداد كلما زاد تناول الخمر وفي إحصائية قام بها «فيونتر» في شيلي كانت ٢٦٪ من وقائع الانتحار قد تمت أيام السبت والأحد. ولوحظ في إنجلترا والولايات المتحدة أن أكثر المنتحرين في أيام السبت والأحد هم من الزنوج الذين يتناولون الخمر بشراهة في تلك الأيام.

ـ يتفاعل الكحول مع طبيعة الإنسان العضوية فيضرب الكبد، ويدمر خلايا الدماغ، ويضعف الذاكرة، ويهدد القلب، ويرفع درجة ضغط الدم، ويؤثر على الرئة والكلى وغيرها.

ـ يؤكد الدكتور «ديفيد فان ثييه» أن الكحول يتسبب في تسمم الجهاز التناسلي لدى المدمنين على الخمر مما يؤدي إلى ضعف قدرتهم الجنسية والعقم.

أما تأثير الكحول على النساء فيذكر الدكتور «فان ثييه» أن استهلاك كميات كبيرة من الكحول يؤدي إلى اضطراب الدورة الشهرية، وتوقف المبايض عن إنتاج البويضات، إضافة إلى تضاؤل حجم الثديين، إلى درجة قد تتحول معها المدمنة إلى جنس ثالث.

ـ لاحظ الخبراء في حوادث السيارات، والأطباء في المستشفيات، أن أكثر حوادث السيارات تقع تحت تأثير شرب الخمر التي تضعف الإحساس بالتحكم العقلي والبصري، فيرى السائق المخمور القريب بعيداً، والبعيد قريباً، فيضع رجله على الفرامل بدلاً من البنزين، أو على البنزين بدلاً من الفرامل، في مواجهة السيارات والجسور والناس، ولهذا تقع الحوادث المرورية القاتلة.

وماتزال التقارير تترىٰ شاهدة للوصف النبوي البليغ الجامع لهذه الخمرة بأنها «أم الخبائث».

فما بالنا نقدر علىٰ منع دواء يسبب ضرراً واحداً ونعجز عن منع شراب بسبب تلك الخبائث الكثيرة؟!

«.. وإنا لموسعون»

جاء في نبأ نقلته وكالة الأنباء الفرنسية، من العاصمة الأمريكية واشنطن، أن فريقاً من علماء الفلك أعلنوا أن مراقبة الانفجارات التي حدثت في النجوم البعيدة جداً عن مجرتنا، في الأونة الأخيرة، أكدت أن إيقاع تمدد الكون لم يتباطأ منذ الانفجار الكبير، وأن الكون مستمر في التمدد إلى مالا نهاية.

تأملوا معي، إخوتي الكرام، عبارة «إيقاع تمدد الكون لم يتباطأ منذ الانفجار الكبير» وعبارة «وأن الكون مستمر في التمدد إلى مالا نهاية» ثم اتلوا معي قوله تعالى: ﴿والسَّماء بنيناها بأيْدٍ وإنَّا لمُوسِعُونَ﴾ ألن نصل بعد ذلك إلى أن القرآن الكريم أشار إشارة واضحة إلى استمرار تمدد الكون واتساعه قبل خمسة عشر قرناً من اكتشاف العلماء ذلك؟!

إن التعبير القرآني «.. وإنا لموسعون» فيه تأكيدان هما «إنَّ» واللام التي سبقت خبرها «موسعون» ما يعني أن القائل حكيم عليم خبير خالق بيده الأمر، أمر كل شيء، سبحانه، ومحيط بكل شيء.

ولو كانت الآية ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ ووسعناها﴾ لما أفاد التعبير بالفعل الماضي استمرار التوسع كما أفاده التعبير باسم الفاعل «موسعون».

وجاء في الخبر أيضاً: «وقد سجلت هذه الملاحظات بفضل «تلسكوب هابل» و «تلسكوب» آخر في «هايتي» وتمكن العلماء من مراقبة انفجار ثلاثة من النجوم الساطعة وتمددها على مسافات شاسعة من الأرض تصل إلى ملايين السنين الضوئية».

أي «تلسكوب» كان عند النبي ﷺ رأى به عبر مسافات تتجاوز ملايين السنين الضوئية؟!!

ألا يؤكد هذا أن القرآن الكريم إنما هو كلام الرب العليم سبحانه، الذي مازالت مكتشفات العلماء، ووقائع الحياة، وأحداث الزمان تشهد بصدقه، صدق هذا الكلام، وعدم اختلافه، لأنه من لدن حكيم عليم، حكيم خبير، حكيم أحاط بكل شيء علماً.

وفي بقية الخبر «وقال أحد هؤلاء العلماء «سول بيرلموتر» من مختبر بيركلي الوطني في كاليفورنيا فيما كان يقدم نتائج أعماله أمام مؤتمر الجمعية الفلكية الأميركية «إن جميع عناصر ملاحظاتنا الممتدة على مسافات شاسعة تبين أننا نعيش في كون سيبقي في حالة تمدد لا نهائي».

وأضاف «ليس في الكون، على ما يبدو، مادة كافية حتى تعمل جاذبيتها على إبطاء الامتداد الذي بدأ مع الانفجار الكبير، لكي يتوقف فيما بعد».

وأشار إلى أن أحد النجوم الساطعة التي تمت دراستها كانت على مسافة تقدر بنحو ٧,٧ مليارات سنة ضوئية من الأرض.

ويقيس العلماء سرعة ابتعاد هذه النجوم عن مجرتنا اعتماداً على المقارنة بين حدة الضوء الذي ترسله هذه النجوم والمسافة التي يستغرقها الضوء نفسه لبلوغ الأرض، وهم يستندون إلى هذه المقارنة ليؤكدوا أن امتداد الكون يبقى على السرعة نفسها ولم يطرأ عليه أي تباطؤ.

ولعل في الكلام التالي الذي نقله الخبر ما لا نجد تعبيراً مناسباً له إلا التوسع: «واستناداً إلى نظرية النسبية التي وضعها ألبرت أنيشتاين عام ١٩١٧م فإن الفكرة العامة المأخوذ بها عن تمدد العالم ترى أن المجرات تتباعد تدريجاً الواحدة عن الأخرى بسرعة تتزايد أكثر فأكثر وفق ما يوضح الفلكي الأميركي أدوين هابل».

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ (فصلت: ٥٣ ـ ٥٤).

لماذا لا نحوّل الرطوبة ماء؟

على بعض نوافذ البيت الذي أقيم فيه وضعتُ أُصصاً زرعت فيها بعض الخضار الورقية، مثل البقدونس والنعناع، تقطف منها زوجتي ما تحتاجه لتصنع السلطة والعجة وغيرها. وتتميز هذه الخضرة بأنها نظيفة، طازجة، إذ لا يفصل بين قطفها وتناولها أكثر من ساعة، وهي تزين النوافذ وتكسبها جمالاً.

وكانت استفادتنا من هذه الورقيات مقتصرة على فصلي الشتاء[١] والربيع، لكن ما إن يأتي الشهر الخامس حتى تجف وتموت إلا إذا واصلنا سقيها بالماء ساعة بعد ساعة، وهذا السقي يكاد يكون مستحيلاً.

ثم هداني الله إلى أمر، فقد وجّه سبحانه نظري إلى الماء الذي يقطر من وحدات التكييف، فلو أنني قمت بتحويله إلى هذه الأصص لتيسر إمدادها بالماء بشكل مستمر.

وأخذت حبلاً بلاستيكياً عقدته عقدة صغيرة من طرفه وأدخلتها في طرف الأنبوب الذي يقطر منه ماء مكيف الهواء، وثبّتُّ طرف الحبل الآخر على مسمار في جانب الشباك، فصار الماء يسير مع الحبل ويقطر عند منحناه الأسفل الذي صار فوق الأصيص[٢].

كان الماء يغمر تراب الأصيص حتى يفيض منه، فكنت أنقله جانباً لأضع أصيصاً آخر مكانه، وهكذا كنت أفعل كل ست ساعات، ثم استغنيت عن هذا النقل حين جعلت الحبل حبلين معقودين من طرفيهما بعقدة جعلتها داخل طرف أنبوب المكيف وكلا طرفيه الآخرين في الأصيصين.

---

(١) الشتاء في الكويت دافئ ومناسب لإنبات هذه الخضار الورقية.
(٢) الأصيص: ما تكسّر من الآنية وهو نصف الجر أو الخابية تزرع فيه الرياحين (الصحاح).

بعد نجاح التجربة نجاحاً باهراً صرت أتساءل: لماذا لا يستفاد منها في سقي الأعشاب والأشجار على جوانب الطرق وفي أوساطها.

كنت أرى سيارات نقل الماء (التناكر) تقف في الطريق وتسقي الأعشاب والأشجار ماء كثيراً، يكلف مالاً كثيراً، عدا ما يسببه وقوف هذه السيارات على جوانب الطريق من حوادث أو عرقلات سير؟!

وتساءلت من جديد: الأمر يحتاج إلى أجهزة تحول رطوبة الجو إلى ماء.. وإلى كهرباء لتشغيل هذه الأجهزة، وانتبهت إلى أن الكهرباء موجودة في أعمدة الإنارة التي يمكن الحصول على الكهرباء منها، وتبقى أجهزة تحويل الرطوبة إلى ماء.

ويشاء الله، وأنا أعد نفسي لكتابة ما سبق، أن أقرأ خبراً عن باحث ألماني، من جامعة دريسدن، نجح في استخلاص مياه الشرب من الرطوبة في الجو فيما وصف بأنه إنجاز علمي خطير بإمكانه تحويل الصحراء الجرداء مروجاً خضراء.

وذكرت مجلة «دويت شلاند» الألمانية الشهيرة في عددها الصادر شهر يوليو ١٩٩٩ أن الباحث الألماني نجح في تجميع وتحويل الرطوبة الجوية في مكثف لجزئيات الغاز يحوي مركباً كيماوياً مكوناً من أجزاء عدة متماثلة، له وجه كبير، يقوم بامتصاص المياه من الرطوبة الموجودة في الهواء، خاصة أثناء الليل بحيث يمكن استخدام هذه المياه في البلاد الحارة والمناطق الباردة على السواء.

وذكرت المجلة أن الجهاز الذي يستوعب متراً مكعباً من الرطوبة ينتج تقريباً ألف لتر من المياه يومياً(١).

ولعل بلدان الخليج التي ترتفع فيها الرطوبة، وتشح فيها المياه، خير من يستفيد من تحويل الرطوبة في الجو إلى ماء غزير نسقي به المزارع التي تنتج لنا الثمار والخضار، ونروي به الأعشاب والأشجار.

---

(١) وكالة أنباء الشرق الأوسط ١٦/ ٣/ ١٤٢٠.

البذاءة صارت واقعاً مدمراً !

الذين يدعون إلى الاختلاط في بلادنا المسلمة لا تقنعهم الآيات والنذر، ولا يقبلون منا ما نعرضه عليهم من نهي إسلامي عن اختلاط الشباب بالبنات، ويرون أن الزمان تغير! ولا ينفع معهم قولنا إن تغير الزمان لا يعني تغير الشهوات، ولا يعني تغير الأخلاق.

أترىٰ ينفعهم أن ننقل لهم اعتراف من يطبقون الاختلاط بإخفاقه؛ إخفاق الاختلاط في أن يجعل العلاقة بين الشباب والبنات علاقة صداقة خالية من الشهوة وما تدفع إليه من تحرش لفظي أو بدني؟!

هذا تقرير أمريكي(١) يذكر «أن البنات صرن يتساءلن: هل يمكن عقد صداقة أخوية مع الأولاد من دون أن يدخل الجنس على الخط!؟».

وينقل التقرير قول المرشدة المتقاعدة بات هوجيوم، وهي منسقة لمؤتمر بنات يعقد سنوياً في لونج أيلاند «نيويورك»: «هناك دائماً إهانات تنطلق من الأولاد، لكن اللغة اليوم صارت أعنف، وأكثر بذاءة، بل إن البذاءة تنساب من الشفاه دون تردد».

وتذكر الباحثات من رابطة الجامعات الأميركيات أن البذاءة صارت واقعاً مدمراً حقاً. واعتمدت دراسة هؤلاء الباحثات على تجربة ٢١٠٠ فتاة كتبن آراءهن وتجاربهن. وكان الموضوع المشترك هو: الصعوبات الشائكة التي تكتنف التعامل مع الأولاد. وكانت أسنان الفتيات تتراوح بين ١١ و ١٧ سنة.

وتقول باميلاهاج مؤلفة التقرير الدراسي، إن فتاة واحدة من كل خمس

(١) خدمة كريستيان ساينس مونيتور- خاص بجريدة «الشرق الأوسط». العدد ٧٦٠٥ .

فتيات (٢٠٪) تتعرض لتحرش جنسي مقرون بالعنف، أو للاغتصاب أو لضغط وحث لممارسة الجنس. كما أكدت ٢٣٪ من الفتيات أن أعوص مشكلة عندهن هي الشتائم الجنسية لهن من جانب الأولاد. أما ظاهرة البذاءة الجنسية في التخاطب مع البنات فهي الأوسع انتشاراً، ويشمل ذلك استخدام لغة فاضحة.

وتصف إحدىٰ المراهقات من مدينة كارسون (نيفادا) حالها بقولها: «أحاول دائماً أن أتظاهر دائماً بأن ما يقوله الآخرون لي لا يؤثر فيَّ. لكن الواقع أن البذاءة جارحة ومؤلمة. والواقع أن الشخص يبدأ في تصديق ما يقال عنه من سوء لشدة تكراره».

وبصدد تفسير سلوك الأولاد هذا فهناك من يعتقد أنه نابع من تأثيرات الأفلام التي تحول الأولاد إلىٰ ما يشبه «الحيوانات الجامحة».

وبعد؛ فإنه واضح، من قراءة ما جاء في هذا التقرير أن الأذىٰ الناتج من الاختلاط كبير، وأن نصيب الفتيات من هذا الأذىٰ أكبر من نصيب الأولاد، فهن الضحايا لاعتداءات الأولاد البدني واللفظي، ومن ثم فإن منع الاختلاط هو في مصلحتهن قبل أن يكون في مصلحة الأولاد.

وواضح أن دعوىٰ الصداقة وعلاقة الزمالة المبرأة من الشهوة دعوىٰ باطلة لا واقع يؤيدها.

وواضح أن واضعي التقرير يشعرون بالخطر حين ترد مثل هذه العبارات في كلامهم: «اللغة اليوم صارت أعنف، وأكثر بذاءة، بل إن البذاءة تنساب من الشفاه دون تردد». «٢٠٪ من الفتيات يتعرضن لتحرش جنسي مقرون بالعنف». «الواقع أن البذاءة جارحة ومؤلمة». «.. تحول الأولاد إلىٰ ما يشبه الحيوانات الجامحة».

أي عاقل يدعو إلىٰ اختلاط البنات بالأولاد وهو يقرأ مثل هذا التقرير الذي يكشف الأذىٰ الكبير الناتج عن هذا الاختلاط؟

أي أب يبقى مُصِرّاً على دعواه هذه وهو يعلم أن ابنته لن تكون في منجى من تحرش الأولاد بها في المدرسة أو غيرها؟!

أي مسؤول يجرؤ على إصدار قرار بتطبيق الاختلاط وهو يعلم أن الله تعالى سائله يوم القيامة عن الآثار المدمرة التي سببها قراره هذا؟!

من أجل مناصرة حقيقية للمرأة

لا يملك أي عاقل أن يصف ظهور المرأة في الإعلانات التجارية، إلى جانب سلع مختلفة تروج لها، تحريراً لها!

وإن الحرص غير المخفي على أن تكون المرأة الظاهرة في الإعلان جميلة الشكل حسنة المظهر، يؤكد أن ما يرغبون في إبرازه من المرأة هو قشرتها الخارجية وليس جوهرها الداخلي (عقلها أو علمها أو خلقها).

وعليه فإن العاقلات من النساء لن يرضين هذا الاستغلال لهن، والامتهان لجنسهن، وليس غريباً، من ثم، أن يعترضن ويعملن من أجل إيقاف جعل المرأة رمزاً للتسلية واللهو.

ومعهد المرأة، في العاصمة الإسبانية مدريد، واحد من تلك الجهات التي أدركت ما يحمله إظهار المرأة في الإعلانات من امتهان لها، فقد أصدر هذا المعهد تقريره السنوي حول استغلال وسائل الإعلان لصورة المرأة، والتقرير وثيقة احتجاج ضد بعض وسائل الإعلان فيما يتعلق «باستغلال المرأة لغرض الترويج للبضائع والحاجيات والتي تبرز في الوقت نفسه الرجل باعتباره رمز القوة والعقل.. والمرأة رمز التسلية واللهو!».

ولعل كون من يتولى إدارة هذا المعهد امرأة يؤكد ضيق النساء العاقلات من امتهان تلك الإعلانات لهن، فقد انتقدت مديرة المعهد بيلار دابيلا، في جلسة تقديم التقرير المشار إليه، انتقدت بشدة عدم استجابة بعض الشركات والمؤسسات التجارية للدعوات المتكررة من المعهد لاحترام صورة المرأة وإلغاء أو تغيير محتوى بعض الإعلانات التي تهينها، ومن ذلك مثلاً ما حدث مع إعلان يروج لسيارة تظهر فيه عارضة الأزياء كلاوديا شيفر وهي تنزل من سلم أحد القصور في طريقة

مهينة قبل أن تستقل السيارة. وقالت مديرة المعهد بيلار دابيلا: «لقد احتج المعهد على هذا الإعلان وطلب إلغاءه أوتغييره، أكثر من مرة، ولكن لم يتلق أي رد إيجابي».

لقد دأب المعهد منذ ١٩٩٤ على جمع الشكاوى المتعلقة بإهانة المرأة في وسائل الإعلام ودراستها وتقويمها ومن ثم نشر ما يتم الاتفاق حوله في تقرير سنوي حول هذا الموضوع، وقد جمع تقرير هذا العام ٣٣٠ شكوى، أي بزيادة ١٢٪ عن شكاوى ١٩٩٩ التي بلغت ٢٦٢ شكوى.

وأضافت بيلار دابيلا أن ارتفاع عدد الشكاوى يعود إلى زيادة وعي المرأة والمجتمع بالدور الحقيقي الذي يجب أن تلعبه «المرأة»، ومع هذا فإن الإعلانات ما تزال تبرز محاسن جسم المرأة باعتبارها القيمة الوحيدة لديها (١).

وبعد؛ هل وجدتم جمعية للمرأة أو اتحاداً نسائياً في بلادنا يقوم بمثل ما يقوم به معهد المرأة في مدريد من حماية للمرأة ضد امتهانها وإظهارها في الإعلانات التجارية وسيلة ترويج للسلع؟!!

إن الاتحادات والجمعيات النسائية في بلادنا مشغولة بأمور أخرى، بعضها يدور حول الاحتفالات الاجتماعية، وإشراك المرأة في أعمال الرجال، غافلة عن قضايا أهم وأخطر.

بل إن بعض هذه الاتحادات والجمعيات يشارك في إبراز شكل المرأة ومظهرها على حساب عقلها وجوهرها.

إنها دعوة إلى مناصرة حقيقية للمرأة.

---

(١) جريدة «الشرق الأوسط» ـ العدد ٧٨١٥.

استقبليه بالرضا

هل تثورين احتجاجاً إذا انتزع منك غيرك حقاً لك؟

هل تغضبين إذا فاتتك طائرة لتأخرك دقائق قليلة عن موعدها؟

هل تغتاظين حين تخطف زميلتك قطعة الحلوىٰ من أمامك؛ فتأكلها مع قطعتها، وتتركك في حسرة؟

لعل ثورتك الاحتجاجية تخبو حين تعلمين أن الله سبحانه سيأخذ من حسنات من انتزع حقك منك ليعطيها لك.

ولعل غيظك يهدأ وينقلب رضا حين تقرئين خبر سقوط الطائرة التي فاتتك رحلتها.

ولعل غيظك ينطفيء حين تعلمين أن قطعة الحلوىٰ التي خطفتها زميلتك وأكلتها كانت فاسدة وسببت لها اضطرابات معوية.

أنت تتذكرين حادث سقوط الطائرة المصرية في الولايات المتحدة الأميركية، لقد كان بين المضيفات مضيفة اسمها نيفين فاروق، ركبت الطائرة لتقلع فيها بديلاً عن مضيفة تأخرت عن الرحلة هي المضيفة أمل إبراهيم.

تقول نيفين فاروق: «تم وضعي علىٰ الجدول تأميناً لأمل إبراهيم لأنها كانت عائدة قبل الحادث بيومين فقط من نيويورك؛ لكن بعد حضوري إلىٰ المطار واستعدادي للرحلة؛ فوجئت بحضورها وإصرارها علىٰ القيام بالرحلة، فعدت إلىٰ قطاع العمليات حيث طلبوا مني الانتظار احتياطياً مرة أخرىٰ للمضيفة جانيت فام التي تأخرت هي أيضاً، واستعددت مرة ثانية للقيام بالرحلة، وقبل صعودي إلىٰ الطائرة وصلت جانيت وأصرت أيضاً علىٰ القيام بالرحلة لأعود مرة

أخرىٰ إلىٰ قطاع العمليات ثائرة لما حدث مرتين».

هذا الإحساس بالثورة علىٰ فوات الرحلة، بسبب وصول المضيفتين المتأخرتين، انقلب إحساساً بالرضا والشكر بعد سقوط الطائرة.

تقول نيفين فاروق «أول شيء فعلته: سجدت لله شكراً».

حاولي أختي المسلمة أن تكتسبي إحساساً دائماً بالرضا عن كل شيء، والتسليم بكل قضاء، وعدم الشكوىٰ والضجر من فوات أي حاجة من حاجات الدنيا.

حتىٰ ولو لم تظهر حكمة ما حدث، أو ما فاتك أو ما أصابك؛ فإن استقبالك له بالرضا والتسليم يمنحك ثلاث ثمرات:

- إدراكك أنك بصبرك وتسليمك ورضاك رابحة وكاسبة خيراً: قال صلىٰ الله عليه وسلم «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكراً فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

- رضاك سبب في رضا الله عنك: قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالىٰ إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (رواه الترمذي) وقال حديث حسن.

- تكفير خطاياك حتىٰ تلقي الله وما عليك من خطيئة: «مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتىٰ يلقىٰ الله تعالىٰ وماعليه من خطيئة» (رواه الترمذي) وقال حديث حسن.

تغاضَ.. تسلم

يقول الخبراء إن الأشخاص الذين يتغاضون أحياناً عن عيوب الآخرين يعيشون حياة أكثر سعادة ممن يطلبون الكمال.

ويضيف الخبراء: إن من يطلبون الكمال يعانون بشكل منتظم من مشاكل صحية ونفسية مثل الإرهاق والصداع تفوق ما يعانيه الأشخاص الذين لا يعنيهم بلوغ الكمال، كما جاء في مجلة «أبوثيكين أو سشاو» التي تُعنى بالصحة النفسية[1].

الإغضاء عن تقصير الآخرين، وعيوبهم، وإساءاتهم، هو ما يوجِّه الإسلام إليه، ويربّي أبناءه عليه، ومن ثم يعينهم على أن يعيشوا حياة أسعد وأهنأ وأرضى، كما شهدت دراسة أولئك الخبراء النفسانيين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى.. إن شئت يا رسول الله. قال: إن شراركم الذي ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رفده. أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى.. إن شئت يا رسول لله. قال: من يبغض الناس ويبغضونه. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى.. إن شئت يا رسول الله. قال: الذين لا يقيلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً. قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يُرجى خيره ولا يُؤمن شرّه» (أخرجه الطبراني).

إن المتأمل في أوصاف الذين قال عنهم ﷺ بأنهم شرار الناس يجدهم ليسوا من أولئك الذين وصفهم الخبراء بـ «يتغاضون أحياناً عن عيوب الاخرين»، لأن

(١) وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ) ٢/ ١/ ١٤٢١هـ-٧/ ٤/ ٢٠٠٠م.

جميع الصفات التي وردت في الحديث تشير إلى أن أصحابها غير متغاضين عن الآخرين، فالذين لا يقيلون عثرة، ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً إنما هم أناس غير متغاضين، لأنهم لو تغاضوا لأ قالوا عثرات الناس، وقبلوا معذراتهم، وغفروا ذنوبهم.

بل حتى من وصفه النبي ﷺ بأنه (يبغض الناس ويبغضونه) هو من غير المتغاضين، لأن عدم التغاضي يمكن أن ينتج عن بغض المرء غيره، كما أنه يورث بغض الآخرين له.

وحتى ذلك الذي وصفه ﷺ بأنه (الذي ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رفده) إنما هو يحمل صفة عدم التغاضي التي جعلته يبتعد عن الناس، ويبخل عليهم بعطائه، ويجلد من كان تحت إمرته منهم.

وهذا حديث أخر للنبي ﷺ يوجه إلى مزيد من الإغضاء؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يامعشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه: لا تؤذوا المسلمين ولاتعيّروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتّبعْ عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» أخرجه الترمذي.

إن من لا يتغاضى هو الذي يعير الناس، ويتتبع عوراتهم، ولو تغاضى لما عيّرهم ولما تتبع عوراتهم، وعقاب هذا الإنسان في الدنيا أن يتبع الله تعالى عورته، ومن ثم يفضحه مهما تخفى وتستر (ولو في جوف رحله). ومثل هذا لايمكن أن يكون سعيداً وقد فضحه الله عز وجل.

ورب قائل: إذا كان التغاضي مطلوباً ومأموراً به.. فأين إذن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

والجواب عن هذا هو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما شروطهما التي تجعلهما غير مناقضين لخلق التغاضي. يقول ﷺ: «لا ينبغي للرجل أن يأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى، عالم بما ينهى، عدل فيما ينهى» أخرجه الديلمي.

وقال عليه الصلاة والسلام «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبده له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذلك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه» (أخرجه الإمام أحمد).

ويؤكد هذا المعنى حديثه ﷺ المتفق على صحته: عن أسامه بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكُ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» متفق عليه.

زوج أحسن ثلاث مرات

كان قد تقدم بطلب للعمل في المؤسسة التي أعمل فيها ، ومرّ بهم يسألهم عن طلبه فأجلوه أياماً أخرى ، فما كان منه إلا أن عرّج عليَّ يزورني في مكتبي .

حدثني وحدثته ، وسألت عن أحواله وسألني ، ثم أدرك ، وقد مضى نصف ساعة وهو عندي ، أن مكثه طال ، ورآني أنظر في الأوراق التي أمامي ، وفهم أنني أريد مواصلة عملي فيها ؛ فقال بمودة : لا تنشغل عن عملك يا أخي . وتناول كتاباً كان فوق المكتب وصار يقرأ فيه .

واصلت عملي في الموضوعات التي أمامي أعدها للنشر ، ومضت ساعة أخرى ؛ هو يقرأ ، وأنا أقرأ وأصحح وأضع العناوين لما بين يدي من مقالات ودراسات .

رفع رأسه إليَّ وكأنما أحس ما دار في نفسي من سؤال حول سرّ بقائه وعدم مغادرته فقال : زوجتي لا تريدني أن أجلس في البيت صباحاً .

ابتسمت وقلت متلطفاً : لعلك تتدخل في شؤونها البيتية؟!

رد موافقاً : أجل ، هي تضيق من ملاحظاتي تجاه أعمالها .

قلت مخففاً : هكذا أغلب النساء يضقن من نقد أزواجهن لهن ، وهكذا أغلب الرجال لا يغمضون عيونهم عما يرونه في أعمالهن .

أضفت : وزاد في ضيقها أنك دون عمل هذه الأيام . . فكأنما بقاؤك في البيت يذكرها بتأخر حصولك على عمل .

شجعني صمته على مواصلة حديثي : لهذا أرى أن تزيد رفقك بها ، وتتغاضى عن كثير مما تجده منها . . وبخاصة في هذه الأيام التي طال فيها بقاؤك

دون عمل . عدت إلى أوراقي وعاد إلى قراءته .

انتبهت إلى الساعة التي ذكرتني بصلاة الضحى ، فاستأذنت ضيفي في أن أذهب لأتوضأ وأصليها .

أخبرني أنه يصلي الضحى قبل خروجه من البيت ، وحافظ على هذا طوال سنوات طويلة . . وما يزال على ذلك .

توضأت وصليت وعدت إلى مكتبي لأفاجأ بالكرسي الذي كان يجلس عليه فارغاً . . لقد غادر ضيفي .

عدت إلى عملي . . ثم جال خاطر في ذهني : أتراه تأثر من كلامي ، أم استثقل بقاءه عندي ، أم أنه تلقى ما ضايقه عبر اتصال هاتفي قام به ؟ !

وأمسكت الهاتف ووجهت إليه نداء . جاءني الصوت المسجل : «تم قبول النداء» .

بعد نصف ساعة جاءني صوته عبر الهاتف : تلقيت نداءك وأنا في الطريق . . وها قد اتصلت بك فور وصولي إلى البيت .

قلت : شغلت بالي بمغادرتك المفاجئة .

قال : لقد تلقيت نداء من زوجتي بعد ذهابك للوضوء والصلاة ، فاتصلت بها من مكتبك ، فوجدتها تبكي وتطلب مني أن أعود إلى البيت . . فغادرت مكتبك مسرعاً إليها .

هذا ماحدث نقلته إليكم لأشير إلى مافيه من إضاءات ودلالات :

ـ لقد أحسن هذا الزوج الصديق ثلاث مرات ؛ الأولى عندما استجاب لطلب زوجته ببقائه خارج البيت صباحاً ؛ مبعداً نفسه عن نقده لها وتدخله في شؤونها .

والثانية في استماعه إلى نصحي له بضرورة الرفق بزوجته ، وفي هذه الأيام

خاصة، وعدم اعتراضه.

والثالثة في سرعة استجابته لطلبها منه العودة إلى البيت.. رغم مناقضة طلبها هذا طلبها الأول منه بالخروج صباحاً وعدم عودته إلا بعد الظهر.. وكأنه غائب في عمله.

إن الطبيعة العاطفية للمرأة قد تجعلها متناقضة في نظر زوجها، وقد يثير فيه هذا التناقض غضباً، ويشعل فيه غيظاً، بينما ينبغي أن يحلم عليها ويصبر، ويقدر ما يزدحم في صدرها من أحاسيس، وما يعتلج في نفسها من عواطف، وما يزخر به قلبها من أحزان وآلام.

* * *

الفهرس